



السَّائِطَاتُ

قيادات الجاليات
المسلمة تدعو للكف عن
حضانة الجماعات المتطرفة

السنة ٥٣ العدد ٦٠٩ شوال ١٤٣٨ هـ - يوليو ٢٠١٧ م

الندوة الدولية للجاليات المسلمة: خطاب الرابطة
الجديد ينسجم مع هدي الشرع ومنطق العقل



اللاجئون في القرن الإفريقي: الأوضاع والتداعيات والآثار

مؤتمر لندن وخطاب الوعي الإسلامي المتجدد

- المطالبة باحترام الشعارات والرموز والتقاليد والأعراف والثقافات الوطنية. وفق أولويات فقه المواطنة بعامة وفقه الجاليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية بخاصة. - المطالبة بكشف فساد التأويلات الباطلة لعقيدة الولاء والبراء التي تُعتبر إحدى أهم ركائز التطرف الإرهابي. وتبنى المؤتمر الدعوة إلى العمل على ترسيخ القيم الأخلاقية النبيلة وتشجيع الممارسات الاجتماعية السامية. وضرورة التعاون في التصدي للتحديات الأخلاقية والبيئية والأسرية. وتعزيز التعاون في إيجاد تنمية مستدامة يسعد بها الجميع.

- دعوة المؤسسات الدينية والتعليمية إلى إشاعة ثقافة التعاون والتفاهم. وتعزيز القيم الدينية التي ترسخ التسامح والتعايش الإيجابي.

- حث الجاليات الإسلامية في البلدان غير المسلمة إلى المطالبة بخصوصياتها الدينية بالأساليب السلمية والقانونية ومنها الحجاب والذبح الحلال والمدارس الإسلامية واعتماد عطلات الأعياد الإسلامية. والحذر من الأضرار خلف مهيجي العاطفة الدينية بالتمرد على قرارات تلك البلدان. وأنه لا يسع من لم يسعه البقاء إلا مغادرتها وأرض الله واسعة كما في آية سورة النساء. وأن يكون الجميع على حذر من اختراق الأفكار المتطرفة لاعتدالهم الديني ووعيهم الوطني.

- التنديد بظاهرة «الإسلاموفوبيا» باعتبارها وليدة عدم المعرفة بحقيقة الإسلام وإبداعه الحضاري وغاياته السامية. والدعوة إلى الموضوعية والتخلص من الأفكار المسبقة والتعرف على الإسلام من خلال أصوله ومبادئه لا من خلال ما يرتكبه المنتحلون من شذونات ينسبون لها زوراً إلى الإسلام.

إن الجميع في حاجة إلى التعاون على كل ما هو خير للإنسانية. وإلى تكوين حلف كوني لإصلاح الخلل الحضاري الذي يُعتبر الإرهاب فرعاً من فروعهِ ونتيجة من نتائجه. باعتبار أن الأصل هو التعاون بين الناس كافة باعتبار وحدة الأصل والخلق.

من اللافت بروز خطاب متجدد لرابطة العالم الإسلامي في مناسبات مختلفة. كان آخرها في مؤتمر التعايش الإسلامي الذي أقامته الرابطة في جامعة لندن. ذلك هو خطاب الوعي الإسلامي المتجدد الذي يعزز التقارب ما بين الحضارات والثقافات سعياً لإزالة الحواجز المتراكمة من سوء الفهم المتبادل. ومن الآراء المسبقة.

هذا الخطاب أصغى إليه العالم وقابله بالاحترام والتفاعل عندما حملته قيادة رابطة العالم الإسلامي في كثير من الزيارات واللقاءات. فكان التواصل المفتوح الذي يقوي الروابط ويعبر عن مزيد من التفاهم والحوار.

والرابطة إذ حمل هذا الخطاب المتجدد. فإنها حمل رسالة الإسلام الذي يدعو الناس إلى الرشيد ويأخذ بيدهم إلى آفاق تحقق للبشرية أهدافها في العدالة والسلام والتعايش والتواصل الإيجابي. وبذلك استحققت الرابطة من المشاركين شكرهم على عقد المؤتمر. والثناء على جهودها في خدمة الإسلام والمسلمين. وتقديم العون لهم وتوعيتهم. وأثناد المؤتمر بالنصائح الشرعية التي أسدتها الرابطة للجاليات المسلمة. بما حظى به الرابطة وفق رؤيتها الجديدة من ثقة وثقل وأوصلتها إليها حكمتهما وبصيرتها الشرعية.

لقد تلقى المسلمون بالقبول هذا الخطاب في الغرب. وتأكيد ذلك في نتائج مؤتمر التعايش الإسلامي التي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

- الدعوة إلى نشر ثقافة استيعاب الآخرين من خلال الإيمان بسنة الاختلاف بين الناس. مع تعزيز مفاهيم التواصل الإيجابي بين أتباع الأديان والثقافات لخدمة العمل الإنساني وصيانة كرامة الإنسان وحفظ حقوقه.

- بذل الجهود الحثيثة لتعزيز المواطنة. وتعميق الحوار البناء. والعمل على استدامة الروح الإيجابية في حسن التعامل مع الآخرين والتعايش معهم. وترسيخ القيم الإنسانية المشتركة. والتضامن في حماية المصالح الوطنية العامة. وتذليل الصعوبات التي تعوق التعايش السعيد الآمن.



د. العيسى: الرابطة تحرص في أعمالها وبرامجها على التعاون مع المؤسسات والجمعيات والمنظمات العالمية «الرسمية» 10

القمة الأمريكية العربية الإسلامية بالرياض تسهم في صنع مجتمع عالمي قائم على البعد الإنساني 12



اللاجئون في القرن الإفريقي الأوضاع والتداعيات والآثار 17

المحتويات

- ٤..... ندوة دولية استضافتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة
- ٨..... الرابطة تعرب عن تأييدها الكامل لقرار قطع العلاقات مع قطر
- ٩..... رابطة العالم الإسلامي تدين الاعتداء الإرهابي في لندن
- ١١..... استقبالات معالي الأمين العام
- ١٤..... بالعلم والحكمة نواجه الإسلاموفوبيا
- ١٧..... اللاجئون في القرن الإفريقي الأوضاع والتداعيات والآثار
- ٢٣..... أبو حنيفة رائد التربية على التسامح
- ٢٦..... عمل الدعوة لا يسير على الطريق العلمي السليم
- ٣٠..... جهود رابطة العالم الإسلامي في مواجهة التطرف (٤/١)



الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

معالي الأمين العام

أ.د. محمد بن عبد الكرم العيسى

المشرف العام على الإعلام

أ. عادل بن زامل الحربي

مدير إدارة الشؤون الإعلامية

محمد بن بكر حمدي

رئيس التحرير

د. عثمان أبو زيد عثمان

مدير التحرير

شاكر بن صلاح العدوانى

المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠١٠٧٧

سنترال: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير
البريد الإلكتروني: rabitamag@gmail.com

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة»

لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع

الرابطة على الإنترنت www.themwl.org

أخبار العالم الإسلامي www.mwl-news.net

طبعت بمطابع تعليم الطباعة

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردم: ١٦٩٥-١٦٥٨

المحتويات

العدد: ٦٠٩

شوال ١٤٣٨ هـ - يوليو ٢٠١٧ م

بمشاركة أكثر من ٦ آلاف متسابق الرابطة
تقيم مسابقة الماهر بالقرآن في بنغلاديش

جدة - العالم الإسلامي

نظمت رابطة العالم الإسلامي عبر الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم بالتعاون مع مؤسسة حفاظ القرآن الكريم في بنغلاديش، مسابقة الماهر بالقرآن لصغار الحفاظ.. وقد شارك في تصفيات هذه المسابقة على مستوى الدولة ٧٨٠٦٠ متسابقاً وشارك في التصفيات النهائية ٥٠ متسابقاً.

وقال الأمين العام للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم الدكتور عبدالله بن علي بصفر: إنه تنفيذاً لتوجيه معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، أقامت الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم مسابقة قرآنية في بنغلاديش، اشتملت على سبعة فروع هي: حفظ القرآن كاملاً، وحفظ القرآن كاملاً مع الجزئية، وحفظ القرآن كاملاً مع غرائب الحفاظ، وحفظ القرآن كاملاً مع معاني القرآن، وحفظ القرآن لصغار الحفاظ، وحفظ ٢٠ جزءاً و ١٠ أجزاء.

وكونت لجنة تحكيم لفعاليات هذه المسابقة برئاسة الشيخ الدكتور أبو البركات محمد حزب الله وخمسة أعضاء، وأشار الدكتور بصفر إلى أنه بعد التصفيات النهائية للمسابقة، أقيم احتفال تكريمي للمشاركين فيها حضره سماحة الشيخ المفتي عبد الرؤوف داكا والشيخ ممتاز الكرم بابا أستاذ الحديث بالجامعة الأهلية والشيخ حبيب الله بلالي مقرئ التلفاز والإذاعة والشيخ عبد الحليم أحمد حسن ممثل الهيئة العالمية وعدد من المشايخ والعلماء وأئمة المساجد والمدرسين والطلاب وأولياء أمورهم وجمع من المواطنين.



المدير الإقليمي لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية 26
ومكتب الرابطة في شرق إفريقيا:

عمل الدعوة لا يسير على الطريق
العلمي السليم ويحتاج إلى تحديث

44



البحث عن جذور الإرهاب

- رئيس مجلس علماء باكستان في حوار مطول مع الرابطة..... ٣٤
- أسباب الانحراف الفكري وعلاجه..... ٣٧
- الإلحاد الأسباب والعلاج..... ٤١
- البحث عن جذور الإرهاب..... ٤٤
- النص الدلالة والتحويلات..... ٥١
- حصيات الجهاز البولي أسباب تكونها ووسائل معالجتها..... ٥٥
- رسالة من كاتبة مسيحية إلى النساء المسلمات..... ٥٨
- في الحاجة إلى "تخليق" الإعلام..... ٦٠
- متحف "دار السلام" مركز إشعاع ثقافي يؤرخ لتاريخ تنزانيا..... ٦٢
- مدار..... ٦٤



في ندوة دولية استضافتها رابطة العالم الإسلامي بمشاركة ممثلي مئات المؤسسات الإسلامية قيادات الجاليات الإسلامية في أوروبا وأمريكا تدعو للكف عن حضانة الجماعات المت

وأعرب المشاركون في أعمال الندوة الدولية «الجاليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية.. الحقوق والواجبات» التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة يومي ١٦ و١٧ رمضان ١٤٣٨ هـ: وافتتحها معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى. أعبوا عن تأييدهم الكامل لأهداف تأسيس المركز العالمي لمحاربة الفكر المتطرف (اعتدال). مبينين انه يعد امتداداً لمبادرات المملكة العربية السعودية في نشر قيم التسامح والتعايش ومبادئ الوسطية والاعتدال. وأشاد المشاركون من قيادات ومراجع علمية ودعوية وفكرية

مكة المكرمة:

دعت قيادات الجاليات الإسلامية في العالم وعدد من المفكرين والمختصين في الشأن الإسلامي الدول والحكومات إلى الكف عن حضانة ودعم الجماعات المتطرفة. والانضمام الكامل إلى الجهود الدولية التي تقودها المملكة العربية السعودية إسلامياً في بعدها العسكري والفكري. من أجل محاربة التطرف والإرهاب. مشيدين بنتائج القمة العربية الإسلامية الأمريكية التي استضافتها المملكة نهاية شهر شعبان المنصرم. وما تضمنه بيان إعلان الرياض من اعتراف بدور العالم الإسلامي في التصدي للإرهاب .



• الجاليات المسلمة تحذّر من لا علم عنده
بأحوالها من التدخل في شؤونها وتُثمن دور
الرابطة في توعيتها

المسلمين خارج العالم الإسلامي الذين لهم مرجعيتهم
وقياداتهم الدينية المستقلة. كما يخص مظلة الشعوب
الإسلامية «رابطة العالم الإسلامي». فيما تقدمه من

• مطالبة المؤسسات الإسلامية في الغرب
بتحصين الجاليات المسلمة من اختراقات جماعات
الإسلام السياسي ودعاة الطائفية والمذهبية

طرفة ودعم المملكة في جهودها ضد الإرهاب

في الجاليات يتبع بعضهم ٥٠٠ مؤسسة إسلامية؛ بنتائج
القمة العربية الإسلامية الأمريكية. التي أكدت على
أهمية الدور القيادي والمحوري للمملكة العربية السعودية
في العالم الإسلامي وفي محاربة التطرف والإرهاب. وما
خُظي به من سمعة طيبة وتأثير إقليمي ودولي مستحق؛
ولجهودها الحثيثة في معالجة مختلف القضايا العربية
والإسلامية. ودعمها للقضايا الإنسانية في العالم.
وإسهاماتها في تخفيف التوترات ومنع الصراعات.
ودعا البيان إلى عدم التدخل بأحوال الجاليات المسلمة
وطبيعة علاقتها مع دولها مشيراً إلى أن هذا الشأن يخص



وأهابوا بالمؤسسات الإسلامية في الغرب بالبعد عن المفاهيم والخلافات التي تؤثر على الوحدة والألفة الإسلامية. وإلى العمل الدؤوب على تحسين الجاليات المسلمة من اختراقات جماعات الإسلام السياسي ودعاة الطائفية والمذهبية. وتعزيز خطاب الرابطة الشرعي والقانوني في المطالبة باحترام الخصوصية الدينية للمسلمين في الدول غير الإسلامية، وكفالة حرية ممارستهم لشعائرتهم الدينية. وبخاصة الحجاب وبناء المساجد والمدارس الإسلامية وغيرها. وأعرب البيان عن تأييدهم للخطاب الديني الذي تنشره رابطة العالم الإسلامي لما تضمنه من رؤية بعيدة تسعى إلى تحقيق مصلحة الجاليات الإسلامية عبر الأدوات الدستورية والقانونية. وصون مكتسباتها عن عبث التيارات المتطرفة الداعية إلى التخالف مع المجتمع. والإخلال بأمنه. وعدم احترام العهود والمواثيق والعقد الاجتماعي الجامع لمكونات هذه الدول. ما يعرض الجاليات المسلمة لخطر التطرف المضاد والإساءة لسمعتها والتوجس منها فضلاً عن تعرضها للمخاطر الأخرى.

وحذر البيان من التأثيرات السلبية التي تتعرض لها الجاليات المسلمة بسبب تدخلات من لا يعرفون أحوال تلك المجتمعات وظروف الجاليات الإسلامية فيها ولا دراية له بخصوصية فقهاها. والحذر من الانسحاق خلف العاطفة المجردة من استطلاع الأبعاد المستقبلية والحالة الدستورية والقانونية التي تحكم هذه الدول وتنظم سيادتها وعقدتها الاجتماعي على ضوء الصيغة الديمقراطية في كل دولة. ودعا البيان رابطة العالم الإسلامي إلى إنشاء مركز عالمي

إرشاد وتوعية ودعم تُقدّره الجاليات الإسلامية عالياً بحكم اختصاص الرابطة. ووزنها العالمي. ودورها المحوري المبني على قاعدة استطلاعات شاملة ودقيقة. وصلتها المستحقة بشؤونهم واحترامهم الكبير لها. وأنشاد المشاركون في ذات السياق بالجهود الإسلامية المتميزة

• الجاليات المسلمة:

لنا فقه نوعي خاص أدركته الرابطة باستطلاعها ووعيتها الحكيم

التي تقوم بها رابطة العالم الإسلامي. وبخطاب الوعي لمعالي الأمين العام للرابطة الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى. مؤكداً أنه ينسجم مع هدي الشرع ومنطق العقل وهو ما يحقق للجاليات المسلمة سكينتها ويعزز الثقة بها وينسجم مع مطالباتها بحقوقها وفق الأساليب

• للرابطة اختصاص في

توعية الجاليات وطرح شرعي عميق في استيعاب فقها الخاص

الدستورية والقانونية لكل دولة. شاكرين للرابطة دعمها القانوني لهم في هذه المطالبات في سياقها الحضاري. وشدد المشاركون في توصياتهم على ضرورة تعاون الجهات المختلفة في التصدي للأفكار المتطرفة والإرهابية. والحيلولة دون تسلسلها إلى أبناء الجاليات الإسلامية. ودعوة

• البيان الختامي: خطاب الرابطة الجديد

ينسجم مع هدي الشرع ومنطق العقل ويحقق للجاليات المسلمة سكينتها ويعزز الثقة بها

رابطة العالم الإسلامي إلى وضع حقيبة توعوية ورقية وإلكترونية موجهة للجاليات الإسلامية. والتأكيد على أهمية حضورها المستمر في دعم المسلمين خارج العالم الإسلامي ومتابعة أحوالهم والتواصل معهم.



يقدرها الجميع. وكانت الندوة التي شارك فيها ممثلون وقيادات لمئات المراكز والمؤسسات الإسلامية في الدول غير الإسلامية قد شهدت نقاشات ركزت على مطالبات الجاليات المسلمة لتحقيق استقرارها. حيث كرر المشاركون تحذير من لا علم عنده بأحوالهم من التدخل في شؤون الجاليات. كما ثمنوا دور الرابطة في نشر الوعي بين أفراد الجاليات المسلمة. مشيدين بما لديها من تميز في اختصاص توعية الجاليات وطرح شرعي عميق في استيعاب فقه الجاليات. مشيرين

• تابعنا ما دار في تويتر حول الحجاب وساءنا مستوى الجهل بفقه الجاليات ومستوى التحريض على وعينا

في هذا السياق إلى أن لهذه الجاليات فقه نوعي خاص ادركته الرابطة باستطلاعها ووعيها الحكيم. وأن جهلة الحماسة الدينية المجردة وأصحاب الأجندة ورطوا بعض أفراد الجالية خصوصاً في قضايا مثل قضية الحجاب. لافتين النظر إلى ما دار في وسائل التواصل الاجتماعي حول الحجاب ومستوى الجهل بفقه الجاليات وحجم الإساءة للجاليات ومستوى التحريض على وعيها.

تواصل خاص بالأقليات المسلمة. يسعى إلى تعزيز علاقتها بالعالم الإسلامي. وتطوير شراكاتها مع المؤسسات الإسلامية والدولية. مع دعوة الجامع الفقهية إلى العمل على وضع منظومة خاصة بفقه الأقليات المسلمة يراعي خصوصية هذه المجتمعات وأولوياتها وواقعها. ويسهم في حفاظ المسلمين على هويتهم وثقافتهم وشعائرهم بلا حرج في الدين. ولا عنت في الدنيا.

كما دعا الأجهزة والمنظمات المعنية بالتربية والتعليم والإعلام في الغرب إلى الإسهام في تصحيح الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين كجزء من مسؤوليتهم الاجتماعية. وأن يكونوا جسور حوار وتواصل مع الآخرين. إضافة إلى تحالف عالمي للوقوف ضد تيارات العنف والكراهية والعنصرية والإسلاموفوبيا بدعم جهود الرصد والتحليل والمعالجة.

وأكد المشاركون على أهمية قيام المؤسسات الإسلامية في الغرب بإعادة هيكليتها وتطوير أدائها. والتنسيق فيما بينها ونبذ خلافاتها الضيقة. والتواصل مع صناعات القرار السياسي والثقافي والاجتماعي في بلدانهم. والعمل مع الفعاليات السياسية والاجتماعية والحقوقية لتحقيق الخصوصية الدينية. ودعوة الجاليات الإسلامية إلى أن تكون في بلدانها مصدر إشعاع حضاري وعلمي وأ نموذجاً متميزاً في حسن التعايش والتسامح. وأن تكون كذلك أنموذجاً في إثراء الدول التي تعيش فيها وإضافة لها

رابطة العالم الإسلامي تعرب عن تأييدها الكامل لقرار قطع العلاقات مع قطر

مكة المكرمة:

أعربت رابطة العالم الإسلامي عن تأييدها الكامل لقرار المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والبحرين ومصر واليمن والحكومة الليبية المؤقتة قطع علاقاتها مع دولة قطر.

مشيرة إلى أن هذا الإجراء جاء وفق المقتضى الشرعي والقانوني والمنطقي تجاه الممارسات التي تستهدف أمن واستقرار الدول. من خلال إيواء ودعم المنظمات والجماعات الإرهابية. متبوعاً بالتدخل في شؤونها والتأثير على وحدة شعوبها وتآلفها.

وأضاف بيان الرابطة: لقد أصبحت مغذيات الإرهاب طريفة بعد محاربتها وملاحقة فلولها على إثر انكشاف تدابيرها الإجرامية في تفخيخ عقول الشباب وإثارة حماساتهم الدينية نحو أفكار متطرفة إلى أن وجدت بيئة حاضنة وداعمة. بل لم يجد الإرهاب منبراً يستطيع من خلاله تمرير رسائله إلا عن طريق مصدر هذا الإيواء المجازف والخطر. والذي لم يأل جهداً في تسخير إمكاناته كافة بما في ذلك توظيف وسائل إعلامه وتواصله المشبوه.

ولن يكون هناك قلق أكثر من أن تراهن تلك المغذيات على حماية ورعاية دولة.

وباستعراض الرموز الإجرامية للتنظيمات الإرهابية في داعش والقاعدة نجد أنها خرجت من محاضن تلك التنظيمات والجماعات وعلى رأسها ما يسمى بجماعة الإخوان المسلمين. منذ أن وضعت هذه الجماعة رسالتها وأهدافها نحو الشرارة الأولى للتطرف باسم الدين من خلال ما يسمى بالإسلام السياسي. ليحترق فطرة التدين المسالم في الوجدان المسلم ليحرف بعضها نحو تلك المزالق.

وتدرك الرابطة يقيناً من خلال استطلاعاتها أن العالم الإسلامي عاش عبر تاريخه وهو لا يعرف هذا التوظيف السياسي باسم الإسلام في البعد الإرهابي والتدخل السافر في شؤون الدول ومحاولة التسلسل لعقول أبنائها وإثارة سكينتها. والإخلال بالتزاماتها وتعهداتها الإقليمية

والدولية.

لقد حوّلت هذه التنظيمات والجماعات نظريات تشدد ديني معزولة وكامنة في دول عديدة لم يتجاوز أثرها صفحات الورق والتعبير المجرد عن آرائها. حولت بعضها إلى عناصر نشطة استهدفت - بعد تزويدها بأفكار متطرفة مضافة - حمل الجميع على مفاهيمها الضالة وفق عمل سياسي محموم مارست من خلاله المواجهة والعنف وأصبحت تُصدّر لداعش والقاعدة مخرجات استدراجها لشباب سُذج تم تضليلهم وإقناعهم بتلك الأفكار. حتى امتد هذا الشرر للجاليات الإسلامية في العديد من دول العالم استطاع من خلال حراكه المشبوه والمدعوم اختراق شبابها.

لقد شهدت أحداث التاريخ أن أي دين متى اختطف سياسياً فإن نتائجه المسلم بها هي زعزعة الأمن والاستقرار والتدخل في شؤون وحريات الدول والشعوب. والإخلال بالقيم والنكث في العهود.

إن الإجراء الذي اتخذته المملكة العربية السعودية وشقيقاتها من الدول العربية والإسلامية يهدف إلى إيجاد الضمانات اللازمة لحفظ أمنها واستقرارها ودحر عاديات الشر عنها.

وكل متأمل بصير يدرك أن هذه الدول بتاريخها الحافل بالأممذج الأمثل في رعاية الجوار والإخوة والصداقة والاعتدال والسلم لم تتخذ مثل هذا القرار لولا أنها حُمِلت عليه لحياتها من مخاطر التطرف والإرهاب. ولتُعطي المملكة العربية السعودية بوصفها مظلة المسلمين ومرجعيتهم وحاضنة مقدساتهم رسالة للجميع بأن الإسلام بريء من تلك الأفكار المتطرفة. ومن كل راع وداعم لها. وأن ويلات العنف والإرهاب التي عانى منها الجميع تتم صناعتها الأولية في تلك المحاضن.

وختتمت الرابطة بيانها بأن القيم الإسلامية والإنسانية والقوانين والأعراف الدولية ترفض التدخل في شؤون الدول فضلاً عن العمل لزعزعة أمنها واستقرارها من خلال إيواء ودعم المنظمات والجماعات المتطرفة. والترويج الإعلامي لخططاتها.

رابطة العالم الإسلامي تدين الاعتداء الإرهابي في لندن

د. العيسى: الأعمال الإرهابية تستهدف تميز النموذج البريطاني ومحاولة خلق صراع حضاري وثقافي

أحزابه وجماعاته.
وأعرب معاليه في ختام تصريحه باسم رابطة العالم الإسلامي عن خالص التعازي للحكومة والشعب البريطاني وإلى ذوي الضحايا متمنياً الشفاء العاجل للمصابين.



مكة المكرمة:
أدانت رابطة العالم الإسلامي الاعتداءات الإرهابية التي وقعت بوسط العاصمة البريطانية لندن، وأسفرت عن سقوط عدد من القتلى والمصابين.

وأكد معالي أمين عام الرابطة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى مجدداً على موقف الرابطة الثابت من الإرهاب وأهله، وأن مثل هذه الأعمال الإرهابية التي تستهدف أناساً أبرياء وأنفساً معصومة وتسعى إلى زعزعة الأمن وبث الرعب في المجتمعات الآمنة لا تمت للإسلام بصلة وتتعارض مع كل القيم والمبادئ الإنسانية.

وأضاف معاليه أن العمليتين الإجراميتين اللتين وقعتا في العاصمة البريطانية تؤكدان على مدى الوحشية التي تنتهجها تنظيمات الإرهاب والتطرف، وأن كافة الأعمال الإرهابية التي نفذها مؤدجون تستهدف تميز المملكة المتحدة في تقديم النموذج الأخلاقي في التسامح والتعايش الإنساني، محاولة في سياق يؤسسها ويأسسها اعتراض قيم الدولة المتحضرة لخلق صراع حضاري وثقافي، وأنه مع بالغ الأسف فإن بعض المستفيدين من هذا الانفتاح جرد من كافة القيم الإنسانية فامتحن الإرهاب أو حفز عليه من تربوا في محاضن

رابطة العالم الإسلامي تعرب عن تأييدها لتصنيف قوائم الإرهاب المحظورة.. وتنهى عضوية القرضاوي في مجمعها الفقهي

مكة المكرمة:
أعربت رابطة العالم الإسلامي عن تأييدها الكامل لتصنيف الصادر عن المملكة العربية السعودية، وجمهورية مصر العربية، ودولة الإمارات العربية المتحدة، ومملكة البحرين: لقوائم الإرهاب المحظورة، حيث اتخذت قراراً بإنهاء عضوية يوسف القرضاوي في (المجمع الفقهي الإسلامي) التابع للرابطة. وقالت الرابطة في بيان لها إن هذا التصنيف يؤكد التزام المملكة العربية السعودية وشقيقتها بحاربة

الإرهاب ومحاصرة مصادر تمويله ودعمه، مشيرة إلى أن على المجتمع الدولي تكثيف جهوده لمواجهة أنشطة التنظيمات الإرهابية ومغذياتها وحاضنتها.
ودعت رابطة العالم الإسلامي كل من له صلة بهذه القوائم ولاسيما عضويات لجانها أو الانضمام تحت قيادة مؤسساتها في سياق الأجرار أو التغرير أو الفوات إعلان انسحابه منها والبراءة من تبعيتها حتى لا يشمل بتبعياتها، فضلاً عن السلامة من أفكارها.

خلال ترؤسه اجتماع مجلس إدارة هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية د.العيسى: الرابطة تحرص في أعمالها وبرامجها على التعاون مع المؤسسات والجمعيات والمنظمات العالمية «الرسمية»



هذه الحقيقة قولاً وعملاً.. هذه الحقيقة التي عملت همجية التطرف الإرهابي على تغييبها في عقول تتلقى معلوماتها من زاوية واحدة ضيقة... كما أن ضيق تكوينها المعلوماتي كان أسير مناورات ومهارات المسابقات السياسية وتأجيج ميمنها المتطرف. وأضاف العيسى أن برامجنا الإغاثية حول العالم تعالج وتكفل وتطعم وتسقي المسلم وغير المسلم، مثمناً إلى أن الإسلام علمنا ذلك وأدبنا على هذا الخلق الرفيع حيث بين لنا أن في كل كبد رطبة أجراً، وحننا على إطعام الأسير وهو العدو المحارب في أسره وبهذا الوجدان الإسلامي الكبير في رحمته واعتداله وسلمه كانت عالمية الإسلام.

يذكر أن الاجتماع تناول عدداً من الموضوعات، في مقدمتها الموازنة التقديرية للهيئة للعام الحالي، والتقرير الفني عن صندوق الإغاثة الدولي للقرض الحسن، ومتابعة تنفيذ قرارات محضر الاجتماع السابق، بالإضافة إلى عدد من اتفاقيات التعاون مع عدد من الجمعيات والمؤسسات في الداخل والخارج.

وفي ختام الاجتماع حث معاليه لجان الهيئة والعاملين فيها والمتعاونين معها على مضاعفة الجهود لتحقيق الأهداف التي أنشئت الهيئة من أجلها.

مكة المكرمة:

برئاسة معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رئيس مجلس إدارة هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، وبحضور الأمين العام للهيئة الأستاذ حسن بن درويش شحبر عقدت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية التابعة لرابطة العالم الإسلامي اجتماع مجلس إدارتها، وذلك بمقر الأمانة العامة للرابطة بمكة المكرمة.

وقد افتتح معالي الدكتور محمد العيسى الاجتماع بكلمة أكد فيها على أهمية المهام والأهداف التي تم تأسيس الهيئة لتحقيقها.

وبين معاليه أن رابطة العالم الإسلامي عبر هيئة الإغاثة تضع على عاتقها مسؤولية العمل في جميع أنحاء العالم، باعتبار أن مهمة الرابطة مهمة مرتبطة بالرسالة الإنسانية للإسلام، مؤكداً أن على الهيئة أن تحرص في أعمالها وبرامجها على التعاون مع المؤسسات والجمعيات والمنظمات الدولية التي تعمل بتصاريف نظامية، مع ضرورة الاضطلاع بالمزيد من المسؤولية الإسلامية بخاصة والإنسانية بعامة لاسيما في هذا الوقت الذي يواجه فيه الإسلام والمسلمون تحديات كبيرة على حين أنه دين الرحمة بالإنسانية أجمع وبالتالي يتعين علينا إضاح

استقبالات معالي الأمين العام

د. العيسى يستقبل حاكم مدينة جاكرتا الإندونيسية

مكة المكرمة:

استقبل معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى الأمين العام لرابطة العلم الإسلامي، حاكم مدينة جاكرتا الإندونيسية الدكتور أنيس باسويدان والوفد المرافق له، وذلك بمقر الأمانة العامة بمكة المكرمة.

وتناول اللقاء بحث الموضوعات ذات الاهتمام المشترك، حيث عبر حاكم جاكرتا عن شكره وتقديره لمعالي الدكتور العيسى على حسن الاستقبال.



معالي الأمين العام مستقبلاً فضيلة رئيس الهيئة الأوروبية الإسلامية

مكة المكرمة:

استقبل معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي فضيلة رئيس الهيئة الأوروبية الإسلامية الشيخ سفيان مهاجري زيان وتناول اللقاء بحث الموضوعات ذات الاهتمام المشترك



القمة الأمريكية العربية الإسلامية بالرياض تسهم في صنع مجتمع عالمي قائم على البعد الإنساني

كتب: عبدالله الطياري

ومضى الأستاذ إبراهيم ليقول: ومن وجهة نظري أن هذا المؤتمر يعتبر نواة مهمة في تصحيح الكثير من المفاهيم المغلوطة عن الإسلام بالغرب. وعلى الرغم من كل ذلك فقد جاهل ترامب في خطابه جاهلاً تاماً بالإشارة إلى مسؤولية الغرب وأمريكا نفسها عن تنامي الإرهاب في العالم، ومنها أن الكثير من رؤوس الفتنة يعيشون في كنف هذا الغرب الذي يلعنونه صباح مساء. بل هذه الرؤوس تتآمر على الغرب رغم أن الكثير من الدول طلبت من أمريكا نفسها والعالم الغربي الانتباه إلى هؤلاء والعمل على حظر أنشطتهم. مشيراً إلى أننا لسنا بحاجة إلى القول إن هذا ينطوي على ظلم للدول العربية والإسلامية، ولا يعبر عن حقيقة الواقع الذي يعمل عليه العالم الإسلامي في نفي هذا الإرهاب والعمل على القضاء عليه فكربا خاصة في ظل استفحال ظاهرة الإرهاب وخطر الجماعات والقوى الإرهابية في العالم. وقال إبراهيم إن العديد من الدول الإسلامية طالبت في السابق بالعمل على القضاء على مكامن الإرهاب بالعالم الغربي وبعدم توفير المأوى لرؤوس الفكر الظلامي.

إن العالم الغربي اليوم يكتوي بنار هؤلاء الإرهابيين. حتى إن رئيسة وزراء بريطانيا تيريزا ماي اعترفت بالتسامح والتساهل فيما سبق مع التطرف، مشيرة إلى أشخاص وحركات إرهابية تعيش في الغرب.

واستطرد رئيس تحرير صحيفة الجمهورية السابق: إن من الإيجابيات الكبيرة لهذا المؤتمر الذي استضافته السعودية كشف الأيديولوجيا الكاذبة التي لا تمت إلى الإسلام بصلة. ما يرسخ التوجهات التي تعيشها المنطقة اليوم برعاية السعودية في ظل محاربة الإرهاب وتصحيح الأفكار الهدامة عن الإسلام. ومن شأن هذه التوجهات أن تخلق رؤية جديدة في التعايش العالمي الإنساني. وتعطي المساحة الكبرى لنشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة.

جاء مؤتمر القمة العربية الإسلامية الأمريكية مرحلة فاصلة في العلاقة ما بين العالم الإسلامي والغرب بشكل عام والولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص. ولتأكيد التعاون المشترك في محاربة الإرهاب. وبذلك فمن المنتظر أن تلقي القمة بظلالها على العمل الإسلامي في المرحلة القادمة.

ويرى عدد من المفكرين والعلماء الذين استطلعتهم (الرابطة) أن هذه القمة سوف تسهم في صنع مجتمع سلم عالمي قائم على البعد الإنساني في كافة معطياته. والدين الإسلامي ينمو في الأجواء الطبيعية دون عداوات أو توترات. ويصل برسائلته في الاعتدال والتسامح إلى العالم الغربي. وقالوا إن المملكة استطاعت بثقلها الديني والإسلامي أن تغير المفاهيم المغلوطة عن الإسلام بالغرب من خلال هذه القمة الكبرى.

حدث إلينا في البدء الأستاذ محمد علي إبراهيم رئيس تحرير صحيفة الجمهورية المصرية. قائلاً: كانت قضية الإرهاب ومحاربتها هي محور القمة العربية الإسلامية الأمريكية. الرئيس الأمريكي ترامب في الخطاب الذي ألقاه ركز على الإرهاب وأخطاره. وأيديولوجية الإرهاب وضرورة محاربتها. والتعاون الواجب بين الدول في مواجهة الخطر الإرهابي. أيضاً. القادة الذين تحدثوا في المؤتمر ركزوا على قضية الإرهاب وقدموا رؤى ووجهات نظر متعددة حول كيفية القضاء على هذا الخطر الداهم.

وواصل رئيس تحرير الجمهورية السابق حديثه مجلة الرابطة قائلاً: إن المؤتمر الذي عقد بحضور ٥٧ دولة بالعالم الإسلامي وبمشاركة أكبر دولة بالعالم وهي الولايات المتحدة أعطى صورة أكثر وضوحاً أن الإرهاب ليس مرتبطاً بالعالم الإسلامي أو الإسلام نفسه. بل إن الرئيس الأمريكي رونالد ترامب أشار إشارة مهمة تدل على تبرة الدين الإسلامي من تهمة الإرهاب عندما قال إن ٩٥٪ من قتلى العمليات الإرهابية هم من المسلمين أنفسهم.



العواصف التي حاول أن تعطل من هذا الدور. لقد أثبتت المملكة أنها قائدة العالم الإسلامي. وأثبتت قدرات سياسية ودبلوماسية وإمكانيات كبيرة بصناعة مثل هذه المؤتمرات. كما أشار إلى ذلك وزير التجارة الأمريكي في كلمته بالرياض. وقال زاهدي القاسمي إن مجلس علماء باكستان يبارك لخادم الحرمين الشريفين انعقاد هذه القمة متمنياً للمملكة العربية السعودية المزيد من التقدم والازدهار. ونحن نؤكد أننا نقف مع أرض الحرمين الشريفين قلباً وقالبا في كل ما فيه مصلحة الأمة الإسلامية.

من جانبه قال الدكتور عبدالرحيم ملازادة البلوشي المشرف العام على قناة توحيد الناطقين باللغة الفارسية ومؤسس رابطة أهل السنة بإيران إن هذه القمة العربية الإسلامية الأمريكية كشفت الكثير من زيف من يدعي الانتماء إلى الإسلام وهو منه براء. بل يخدم الأجندة الفارسية. خاصة أن هذه القمة كشفت الزيف الفارسي وملالي طهران بعد العريضة التي مارستها طهران طوال سنوات الإدارة الأوبامية. وعاشت على إثرها الطائفية التي قامت بتغذيتها طهران ومارست الكثير من العريضة ببعض الدول العربية. وعملت على تهديد السلم العربي والإسلامي العالمي. وأضاف أن القمة كشفت المجموعات الإرهابية التي توظف هوية دينية زائفة بهدف تضليل واستقطاب مجتمعاتنا وشعوبنا العربية والإسلامية.

وأشار البلوشي إلى أن قمة الرياض وبعابها الأولى من نوعها. تمثل فرصة للدول الإسلامية للتعاون والتنسيق مع الولايات المتحدة لرسم خارطة طريق لمستقبل جهودها المشتركة في التصدي لظاهرة الإرهاب العالمي الذي بدأت تكتوي بناه كل الدول. حتى الغربية منها. كما حدث أخيراً ببروكسل ولندن وفرنسا من أحداث إرهابية كبرى.

وأضاف رئيس تحرير الجمهورية المصرية: إن من أبرز الإيجابيات التي حصدها المؤتمر أن الرئيس الأمريكي ترامب صحح أفكاره الانتخابية التي سوقها حول الإسلام أمام الناخب الأمريكي. وهذه إيجابية مهمة لتصحيح هذه الأفكار في بداية انطلاقة الإدارة الأمريكية الجديدة بما يسهم في التقارب مع هذه الإدارة الأمريكية. ومن جانبه قال رئيس مجلس علماء المسلمين في باكستان زاهد محمود القاسمي إن مؤتمر الرياض أو قمم الرياض الثلاث أسست اللبنة الأولى في انطلاقة الحرب الحقيقية لمحاربة هذه الأفكار الهدامة وصناعة المجتمع العالمي المتجانس مع طوائفه كافة من كل الأديان. بل إن الدين الإسلامي في مثل هذه الأجواء التي يعمل على تأسيسها مؤتمر الرياض حالياً يجد الأرضية الصلبة والملائمة لإيصال رسالة الإسلام الصحيحة إلى الأطراف الأخرى. وأضاف قائلاً: لقد تقرر في الرياض إنشاء مركز لرصد ومحاربة الفكر المتطرف الذي يمكن أن يقود إلى العنف والإرهاب في الدول العربية والإسلامية. وهذا أمر جيد. لكن الغرب يجب أن يعترف بأنه هو أيضاً بحاجة إلى رصد ومحاربة الفكر العنصري الفاشي المتطرف الذي يدفع أيضاً إلى العنف والإرهاب. قمة الرياض بحمد الله كانت إيجابية. فالرئيس ترامب خلال حملته الانتخابية حدث كثيراً بسلبية عن الإسلام. لكنه ما إن جاء الرياض تغيرت نبرته، ونرجو أن يستمر هذا المنحى الإيجابي في تعامله مع البلدان الإسلامية. وختم القاسمي حديثه إلى مجلة الرابطة قائلاً إن هذا المؤتمر يحسب للمملكة العربية السعودية، والنتائج الإيجابية التي خرجت من هذا التجمع الخير سوف تعود على الإسلام والمسلمين بالخير والبركات. وأثبت أن المملكة العربية السعودية تحتل في ذاكرة العالم الإسلامي المكانة الكبرى لما تحتويه من الأماكن الإسلامية والدور التنويري الذي لعبته منذ وقت طويل. رغم كل

بالعلم والحكمة نواجه الإسلاموفوبيا

بقلم: نعيمة ستينينق

مؤلفة كتاب (النصرانية والإسلام: التاريخ والعلاقة) باللغة الألمانية

بروكسل- بلجيكا:

مع تصاعد المشاعر المعادية للإسلام في الغرب خلال السنوات الأخيرة، ومع انتشار الشعارات التي تدعي أن المسلمين يريدون (فرض الإسلام على الغرب)- وهي شعارات مضللة ومربكة، للجمهور فقد ظهرت في الغربيين مشاعر القلق والخوف من الإسلام أو ما يسمى بالـ (إسلاموفوبيا).

لا شك في أن أصل هذه الادعاءات هو سوء تصرف بعض المسلمين، فهذا يبرر قلق الأوروبيين في بعض الأحيان ويدعوهم إلى سوء فهم القضايا، وبالتالي إلى الإذعان لخطابات الكراهية من قبل الشعوبيين. لكن يجب التأكيد على أنه من الخطأ وخلاف المنطق أن يتم إلقاء اللوم على الإسلام مجرد وجود التصرفات الخاطئة لدى بعض المنتسبين إلى هذا الدين. فالحكم على دين ما يجب أن يكون حسب تعاليمه أو حسب عمل الأتباع الحقيقيين، ويجب تأسيس هذا الحكم على الموضوعية والمنطق. كذلك يجب التنبيه على أن مبدأ السببية يقتضي أن كل حالة في مجتمع ما له أصل في التاريخ؛ ولذلك من الحكمة أن نتساءل: متى دخل الإسلام في أوروبا الغربية والوسطى؟

لنبدأ بالبحث عن آثار الإسلام في الغرب. من المثير أن نجد بعض تلك الآثار في تداولنا اللغوي اليومي: أعني بذلك ألفاظا في القاموس الألماني ذات أصل عربي مثل: Algebra, Alkali, Benzin, Bor, Erde, Jacke, Kabel, Marzipan, Natron, Seife, Tarif, Tasse, Ziffer, Zucker وغيرها. والسبب واضح: ففي القرن الحادي عشر من الميلاد انتشرت أفكار إسلامية من الأندلس وصقلية نحو أوروبا الشمالية الغربية والوسطى. والأسماء كانت تابعة لمسمياتها.

لنتأمل بعض المبادئ في دين الإسلام: الإسلام يدعو إلى الربط بين الحياة المادية والمعنوية، فهو دين يحث على القيام بعبادات ونسك خالصة لوجه الله تعالى بناءً على التوحيد الخالص.

كما أنه يهتم بمبادئ مثل العدل الاجتماعي، والمساواة أمام القانون، وحرية الضمير والتسامح مع أتباع الأديان الأخرى. كما أن الإسلام يدعو إلى نبذ العنصرية و الفوارق الطبقية، ويعطي كل إنسان حق التصرف، و يهتم بكون كل إنسان بالغ عاقل؛ مسؤولاً، وبكون الأعمال حسب النيات، و يوجب الإسلام على المسلم حفظ الأمانة و إتقان العمل والوفاء بالعهد.

كان المسلمون في مطلع الإسلام يراعون هذه المبادئ، وأدى هذا إلى تعزيز العلم و تأسيس الدولة على العدالة والخير. إن دعوة القرآن إلى التدقيق في البحث العلمي، و تفرقه بين (العلم) و(الظن) هو الذي جعل العلماء العرب يقومون بتجديد طريقة عمل سابقهم وإبدالها بالطريقة التجريبية.

لنرجع إلى موضوع تدفق الأفكار الإسلامية في المناطق الغربية المسيحية، الذي حصل في القرن الثاني عشر الميلادي:

مع سقوط صقلية و الأندلس في القرن الحادي عشر في أيدي المسيحيين فإنهم حصلوا على علوم كانت محفوظة في المكتبات العربية مثل طليطلة. فقد عثروا على معلومات من المسلمين عن السياسة وهندسة السقيا وطرق توفير الطاقة والتجارة. ثم إن عددًا كبيرًا من العلماء الغربيين انتقلوا إلى الأندلس بعد سقوطها. ليتعلموا اللغة العربية قبل أن يقوموا بترجمة النصوص العلمية العربية إلى اللغة اللاتينية. من الجدير بالذكر أن هذه العلوم لم تكن علومًا إغريقية فحسب بل كانت تشمل أعمال الأطباء والرياضيين وعلماء الفلك العرب. وكان العلماء الأوروبيون الذين حظوا بحماية بعض الحكام المنفتحين مثل الحاكم الألماني Friederich II يراعون اتصالهم بالمسلمين.

تأسست الجامعات ومعاهد الطب، بفضل الأثر العربي الإسلامي. ولوصول العلوم والأفكار مثل علم الجبر والحساب إلى إيطاليا الشمالية وجنوب ألمانيا. وتولى الأوروبيون مفاهيم عربية مثل مفهوم (الكرسي) في الجامعات ونظام القيمة

المكانية الذي به يمكن تكوين أي عدد بمجرد عشرة أرقام. بل إن الألمانين تولوا كيفية قراءة الأعداد: المئات ثم الأحاد ثم العشرات.

في القرن السادس عشر صار تأثر أوروبا المسيحية بالأفكار الإسلامية أمراً لا يمكن الرجوع منه والاستغناء عنه، حيث إن عقلية الناس وتصرفاتهم في حياتهم اليومية صارت متأثرة بالأفكار الإسلامية. كما اشتهر هؤلاء العلماء الذين تبعوا أفكار سابقيهم العرب أمثال Andreas Vesalius (١٥١٤-١٥٦٤) و Michael Servetus (١٥١١-١٥٥٣) رواد علم التشريح البشري، والرياضيون Rene Descartes (١٥٩٦-١٦٥٠) و Pierre de Fermat (١٦٦٥) اللذان أرفقا أعمالهما بأعمال عمر الخيام (١٠٤٨-١١٣١) و الحسن ابن الهيثم (٩٦٥-١٠٣٩). كما ظهر الفلكيان الشهيران Nikolaus Copernikus (١٤٧٣-١٥٤٣) و Galileo Galilei (١٥٦٤-١٦٤١) اللذان توليا أفكار العرب وقاما بنشرها رغم أنها كانت مثيرة للجدل في الغرب آنذاك.

من العجيب أيضاً أن الأفكار الإسلامية أثرت على مؤسسي الولايات المتحدة الأمريكية في القرن الثامن عشر. خاصة فيما يتعلق بالتسامح والحرية الدينية، وهي أهم المبادئ التي اتخذها الفلاسفة في عصر التنوير.

كانت ردة فعل الأوروبيين غريبة: فالكنيسة رفضت هذا التأثير كلياً وقامت باضطهاد أولئك العلماء لعدة أسباب هي: أن تلك الأفكار كانت مناقضة لتعليمات الدين الكاثوليكي، وأن الكنيسة كانت أصلاً تمنع الناس من طلب العلم، وأهم هذه الأسباب هو أن تلك الأفكار الحديثة كانت قد انبعثت من محيط كانت الكنيسة قد جعلته عدوها الأول، وهو الإسلام. كان الأوروبيون آنذاك يعانون من عقدة نقص شديدة مقابل المسلمين، إضافة إلى ذلك كان لا بد من تبرير الحملات الصليبية أمام الجمهور الغربي، فهذا هو الذي جعل أمثال (١٠٩٢-١١٥٦) Peter von Cluny يقومون بنشر ادعاءات خاطئة عن الإسلام والمسلمين. هذه كانت الإسلاموفوبيا الأولى.

ابتداء من القرن السادس عشر. عندما بدأ الأوروبيون يشعرون باحترام الذات، صاروا ينقصون من أهمية دور المسلمين في الثقاف عبر تاريخ الإنسانية. وكما قال الأستاذ William Montgomery Watt: «لأن أوروبا كان تشعر بعداوة ضد الإسلام، فإنها عملت على تقليل تأثير المسلمين على أوروبا، وبالغت في إعلان تأثيرها بالميراث الإغريقي والرومي».

وهذا الاعتقاد الخاطيء - أن الرغبة في التعلم والتقدم والإنسانية التي حركت النهضة الأوروبية كانت قد انبعثت من الثقافة الإغريقية والرومية، وأن هذه الثقافة أوروبية بحتة - هو الذي يتم تدريسه في المناهج العامة حتى اليوم. أما الحقائق التاريخية التي تثبت تأثير الإسلام على الغرب، فلا تكاد تتجاوز

بعض الأوساط الأكاديمية.

بل إن بعض السياسيين يذهبون إلى وصف ثقافتهم بأنها «مسيحية-غربية». في حين أن أحداث التاريخ تشهد على أن موقف الكنيسة عبر التاريخ كان رفض كل تلك القيم التي يتصف بها الغرب اليوم. فما هو سبب هذا التناقض إذا؟ ما سبب السكوت عن دور الإسلام الحقيقي؟

أذكر أن معرضاً قد أقيم عن القلب البشري قبل بضع سنوات في العاصمة الأوروبية بروكسل، حيث عُرضت مراحل اكتشاف طب القلب عبر التاريخ، وقد ذُكرت اكتشافات علماء العصور القديمة رغم طريقتهم التأملية، في حين لم يُذكر شيء عن علماء المسلمين أمثال علاء الدين بن النفيس رائد نظام الدورة الدموية الرئوية.

تأتي هذه العداوة التي يشعُر بها كثير من الغربيين تجاه الإسلام، على الرغم من وجود تشابه قريب بين القيم الغربية والقيم الإسلامية: نجد هنا وهناك التسامح، حرية الاعتقاد، المساواة أمام القانون، السياسة والعمل الخيري، حق الإنسان في الحياة وفي الحرية وفي التملك، لنكن صريحين... عند المقارنة بين القيم الغربية والقيم الإسلامية نجد أن التطابق أكثر من الاختلاف، في حين يفضل الأوروبيون أن يشيروا إلى الاختلافات فقط.

فمن الاختلافات التي يتم ذكرها غالباً: أن الشريعة الإسلامية لا تفرق بين الدين وسياسة الدولة، والحقيقة أن هذا التفرق يعتبر أساسياً عند الأوروبيين الذين تعلموا من تاريخهم ولا يريدون أن يجربوا مرة أخرى استبداد دولة كاثوليكية كالتي عرفوها في العصور الوسطى. لكن شيئاً من ذلك لم يحدث و لن يحدث في الإسلام: فالإسلام يدعو إلى حياة اجتماعية مبنية على الخير، ويرفض الاستبداد والظلم من قبل الحاكم، وإذا كان قد حصل شيء من الظلم في العالم الإسلامي فالإسلام من ذلك بريء.

ومن القيم الإسلامية: (لا إكراه في الدين)، وهو أمر ثابت في القرآن منذ أربعة عشر قرناً، بينما أوروبا تنعم بهذه القيمة منذ سبعين سنة فقط.

ومن التطابق بين قيم الإسلام والقيم الغربية: مسؤولية كل فرد عن عمله، ومبدأ الادعاء بالدليل عند القضاء، فإن المتأمل في النصوص الشرعية يدهش عندما يقرأ: «ولا تزر وازرة وزر أخرى»، أو: «وإذا حكمتهم بين الناس أن تحكموا بالعدل»، أو: «البينة على المدعي واليمين على من أنكر»، أما في دور القضاء الأوروبية فإن الإجراءات القضائية تقوم على مبادئ شبيهة بالمبادئ الإسلامية، وبعبارة كل البعد عن مبدأ الكنيسة الذي يدعي أن عيسى صلب تكفيراً لذنوب المذنبين، لذلك فإن الصلبان المعلقة على جدران قاعات المحاكم الأوروبية تبدو غير لائقة.

الحرب العالمية الثانية، ليجد هؤلاء اللاجئين مأوى لهم. يأتي مثل هذا التصرف رغم أن الإسلام يدعو إلى معاملة النصارى بالتى هي أحسن لأنهم أقربهم مودة للمسلمين. وأعظم الأفات هذا الإرهابى الذى يفجر نفسه فى الأمنين مع أن الإسلام يرتب عذاب جهنم لمن يقتل نفسه بالانتحار.

إن الجهل والتعميم والتمثيل الخاطئ والآراء المنحرفة، هى أمور تمثل أرضاً خصبة لفعل الشعوبيين. ولأن التاريخ يتكرر، فإن الإسلاموفوبيا أيضاً تظهر مرة ثانية.

لنستخرج نتائج النبذة التاريخية المذكورة أعلاه:

أولاً: يجب التنبيه على تلك الفترة التاريخية الطويلة فى التاريخ العالمى التى لجهل عنها ولا نسمع عنها إلا نادراً رغم أنها تحمل أهمية كبرى لنا نحن الأوروبيين: ألا وهى ألفية الثقافة الإسلامية، التى كانت سبباً مباشراً لحياتنا الحديثة التى ننعيم بها اليوم فى أوروبا. لو أننا نعتترف بهذه الحقبة الزمنية فإن ذلك سوف يساعد الأوروبيين غير المسلمين فى بناء علاقة أكثر إيجابية تجاه الإسلام. إن الذى يعلم أن مبادئ إسلامية قد ترسخت منذ عدة قرون فى أوروبا، وأنها قد صارت جزءاً من حياتنا، ليس عليه أن يخاف من الإسلام.

ثانياً: يجب عرض التاريخ بشئى من الحيوية سواءً فى المناهج المدرسية أم فى وسائل الإعلام مثل المعارض والبرامج التلفزيونية. إن دراسة التاريخ تساعد فى استنتاج فوائد حياتنا المعاصرة. كما أنها تساعد على التعارف بين الثقافات. وبالتالي ستساعد على سلب الخصوبة للعداوة ضد الإسلام.

لقد حان الوقت لفك إطار التشاؤم. لنتوقف عن نشر الكراهية سواءً فى الخطب أو المظاهرات أو فى الرسوم المتحركة. لنتذكر معاً تلك القيم الرفيعة التى يشترك فيها العالمان الإسلامى والغربى. لنعرض عن المحاباة وقصر النظر، إن العصبية القومية وأن نجعل ذوى الديانات المخالفة لنا كبش فداء. هو تفكير (فاشي) بحت. وهذا بالضبط مكمّن الظاهرة الرئيسية فى اشتعال الحربين العالميتين فى النصف الأول من القرن العشرين. ألم يأن الأوان أن نقضى على كل ما من شأنه أن يكون سبباً للعنف؟ وهذا لا يمكن إلا من خلال التربية والتعليم.

أحب أن أختتم خطابى هذا بما رواه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، حيث وصف (الروم) فى آخر الزمان، فقال: «إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف.

وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك».

هذه الكلمات التى قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرناً، تتحقق فى الأوروبيين اليوم كما هو ظاهر. وهى تمثل وصفاً إيجابياً جداً لنا الغربيين فى عصرنا هذا.

هذه هى نظرة الإسلام!

فى أثناء القرن العشرين، دخلت أعداد من المسلمين إلى بلاد أوروبا، و قد تم الترحيب بهم بعد الحربين العالميتين. وقد وجدوا فى أوروبا أرضاً تمكنهم من النهضة فى توافق مع دينهم الإسلامى. وبدلاً من أن نتذكر ذلك الانسجام الذى نعمنا به مدة خمسين سنة، فإنه قد حصل اختلاف بين المسلمين وغير المسلمين. فما سبب ذلك؟

مع تقلب أحوال العالم فى السنوات الأخيرة طرأت تحديات اجتماعية واقتصادية، ومعها أيضاً طرأ العنف والتشريد. ولا شك أن هذه التحديات قد شملت المسلمين كذلك: فالكثير من المقيمين منهم فى الغرب فشلوا فى الاندماج فى المجتمع. إما لأسباب تعود إلى أنفسهم أو لأن الاندماج قد أعيق من جهاتٍ أخرى. لنتذكر المسلمات اللاتى يصعب عليهن الالتحاق بوظيفة بسبب ارتداء الحجاب.

من جانب آخر، فإن كثيراً من المسلمين ينتمون إلى أسر المهاجرين، وفى هذه الطبقات الاجتماعية ترتفع نسبة الجرائم والفسل الاجتماعى. ولذلك يكثر عدد المسلمين فى المنشآت العقابية، وتمتلئ العناوين الرئيسية فى الصحف بمشكلات من العالم الإسلامى. وبذلك تعرضت سمعة المسلمين للتشوه. وللأسف كثيراً ما يتم الارتباك بسبب الربط بين أوضاع (المسلمين) المتردية وبين دين الإسلام.

يضاف إلى ذلك مشاكل اللاجئين، الذين يمثل المسلمون عدداً كبيراً منهم. نعم، لا شك أن كثيراً من هؤلاء لاجئون حقاً، قد سلبت أموالهم وأخرجوا من ديارهم، فهم يبحثون فعلاً عن الأمان. لكن كثيراً أيضاً من هؤلاء يستغلون البلاد المستضيفة لهم، وتسوء أخلاقهم ويمثلون خطراً على الأمن. كل هذا بالطبع ينفر منه الأوروبيون.

والحقيقة إن الجهل قد سيطر ليس فقط عند غير المسلمين، وإنما كذلك عند المسلمين أنفسهم، حيث الكثير منهم لا يعيشون حياتهم كما أمرهم بذلك الإسلام.

لننظر إلى هذه الطالبة المسلمة التى تغش من تحت حجابها فى الامتحان. مع أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قال: «من غشنا فليس منا».

وهناك الأم التى لا تنهى طفلها عن سرقة الحلويات فى الدكان، مع أن الإسلام يرتب عقوبة شديدة على جريمة السرقة. وهنا نجد تاجر السيارات الذى تبدو عليه الفرحة والسرور بعد أن استطاع التلاعب بعدد الكيلومتر، مع أن الإسلام جعل الخيانة من صفات المنافق.

وقد مررت بتجربة خاصة، والذى البالغ من العمر ٨٦ عاماً، بصق عليه رجل من أصل مسلم قبل أن يلقيه على الأرض. وفى موقف آخر قام شخص بإزعاجه حتى اضطر إلى أن يلجأ إلى بيته. كل ذلك رغم أن والدى هو من ساهم فى تمويل وإعادة بناء قريته فى ألمانيا التى يبلغ عدد سكانها ستمائة ألف فى سنوات ما بعد



اللاجئون في القرن الإفريقي

الأوضاع والتداعيات والآثار

إعداد: منير حسن منير

والصومال والسودان وإريتريا وجنوب السودان وجيبوتي وكينيا. ويمكن إضافة أوغندا لهذه المجموعة لوقوعها ضمن الدول المستقبلية والمصدرة لموجات اللاجئين. تقع كل هذه الدول في محيط ملتهب يشهد لعقود طويلة حروباً ونزاعات أهلية وقبيلية وإثنية، مما جعلها مجتمعة إما (مستقبلة أو مصدرة) للاجئين، وفي أحيان كثيرة للاثنين معاً. أي إنها مستقبلية من عداها، ومصدرة في نفس الوقت لغيرها.

موجات اللجوء والنزوح: آثار وتداعيات:

تتلخص تداعيات وآثار موجات اللجوء، في وجوه عدة منها ما هو أمني، وسياسي، واقتصادي، واجتماعي، وبيئي أيضاً. التأثير السياسي والأمني ينعكس على علاقات وأمن أي بلدين متجاورين أو غير متجاورين، نتيجة ما تسببه هجرة أعداد كبيرة من بلد لآخر من ضغط على موارد البلد المستقبل. وعلى أمنه الذي يستدعي الحذر من وجود كتل بشرية ضخمة بدون هويات

تشكل ظاهرة اللاجئين المتفاقمة والمتوسعة في أنحاء العالم، أياً كانت أسباب لجوئهم. ظاهرة مقلقة تشغل كثيراً من الدول التي تعرضت لموجات متتالية من المجموعات الهاربة من دولها ومناطقها الأصلية لأسباب يتمحور أهمها في الحروب والصراعات الإثنية والقبلية التي تمزق دولا كثيرة في مختلف القارات. ومنها ما هو متعلق بموجات التصحر والجفاف التي ضربت مناطق شاسعة من الكرة الأرضية فخلفت دماراً وبؤساً وموتاً كان من نتائجها نزوح وهجرات جماعية لمناطق أكثر أمناً للعيش.

ونوع ثالث بسبب إقامة مشروعات اقتصادية أو تنمية ضخمة لدعم البنى التحتية للدول، عادة ما تكون على حساب سكان تلك المناطق بنزع أراضيهم وتهجيرهم أو تشريدهم منها. ولا تخلو قارة من القارات الخمس من ظاهرة النزوح والهجرة واللجوء لسبب أو آخر ما ذكرنا. ولكننا سنركز الحديث في هذا المقام على منطقة (القرن الإفريقي)، التي تشمل إثيوبيا

الجنوب وميلاد أحدث دولة في العالم. هي دولة جنوب السودان. أو ما يحدث في الصومال لثلاثة عقود مستمرة من الصراع الدامي.

وكذلك في إريتريا التي تعاني من عدم الاستقرار في ظل نظام أجبر مئات الآلاف من سكانها على الهرب إلى دول مجاورة كالسودان وإثيوبيا وجيبوتي. ففي السودان وحده توجد معسكرات للاجئين الإريتريين منذ عقد السبعينيات من القرن الماضي. أي إن أربعة أجيال ولدت في تلك المعسكرات. ويبلغ أعمار من هربوا سنوات حرب التحرير ضد إثيوبيا فوق الخمسين عاماً. فلا هم أصبحوا سودانيين بطول الإقامة. ولا رجعوا إلى وطنهم ليعيشوا في كنفه.

وفي الصومال. مزقت الحرب الأهلية النسيج الاجتماعي للشعب الصومالي فتشرد أغلبه عبر هجرات لجوء متتالية منتشرين في أركان العالم.

وعلى الرغم من انتخاب رئيس جديد منذ شهور قليلة. وإعلان الرئيس المنتخب محمد عبد الله فرماجو رغبته في تأسيس الدولة من الصفر. فإن المهمة تبدو شائكة أمام حكومته الجديدة. والتحديات أكبر من مواجهتها في ظل الحرب التي تخوضها الدولة ضد جماعة الشباب المصنفة عالمياً ضمن التنظيمات الإرهابية.

ومن مفارقات ظاهرة اللجوء. أن أحدث دولتين وليدتين في إفريقيا. وهما دولة إريتريا وجنوب السودان. أصبحتا أكبر (مصدرين) للاجئين. والأغرب من ذلك هو أن الهاربين من بلديهما يلجؤون من جديد إلى أعداء الأمس ومن كانوا يحسبونهم مستعمرين لهم!

لقد نزح مئات الآلاف من اللاجئين من جنوبي السودان إلى داخل جمهورية السودان التي انفصلوا عنها بعد حرب لعقود طويلة. كما فعل اللاجئون الإريتريون نفس الشيء مع إثيوبيا التي حاربوها لسنوات طلباً للاستقلال!

كما وصلت مجموعات من الهاربين من بلدانهم في القرن الإفريقي إلى إسرائيل طلباً للجوء والحماية. وبحثاً عن لقمة العيش بعد أن ينسوا من تأمينها في بلدانهم!

صورة أخرى لهذه المفارقات. أن انهيار الدولة الليبية بسقوط نظام الحكم عام ٢٠١١. جعل هذا البلد معبراً وجسراً مفتوحاً للأمواج النازحين الباحثين عن مستقبل آمن وحياء كريمة في القارة الأوروبية. فأصبحت هذه الجماعات أكبر مهدد للامن واستقرار القارة رغم المحاولات التي بذلتها دولها لإيقاف هذا الزحف البشري.

وتعكس الخطوات التي اتخذتها بعض دول المنطقة لتقليص أعداد العمالة الأجنبية في بلدانها صورة أخرى لمستقبل العمالة القادمة من القرن الإفريقي خاصة الإريتريين والصوماليين. حيث ولد بعضهم في تلك الدول وعاشوا فيها حتى الجيل الثالث. ولا يعرفون شيئاً عن بلدانهم التي جاء منها آبائهم. بل ولا



معلومة. أو مصادر عيش ورزق تمنعها عن تهديد الأمن والسلم الاجتماعي لهذا البلد. أو المساس بحياة واستقرار المجتمع والشعب.

اقتصادياً: يكون تأثيره بسبب مشاركة هذه المجموعات اللاجئة. للمواطنين الأصليين في المعيشة وتقاسم الموارد. ومشاركتهم في احتياجات الأكل والشرب والعلاج والتعليم. خصماً على نصيب المواطن الأصلي. هذا يؤدي حتماً إلى تنازع وتنافس وتفاقم لهذه المكتسبات حين ينتج عنه شح أو نقص في الاحتياجات والخدمات المقدمة من الدولة لمواطنيها بحسب أعدادهم ونسبهم المسجلة لديها.

أما اجتماعياً. فيمكن لشكل معيشتهم. وكذا لعادات وتقاليد المهاجرين اللاجئين الجدد. التأثير بشكل أو آخر على غيرهم من سكان البلد المعين. خاصة إذا كانت في جوانب العقيدة أو الأخلاق. ولكون الغالبية من اللاجئين ينزحون من مناطق ريفية بدائية غالباً. لذا يصبح مسألة انخراطهم أو اندماجهم في مجتمعات مختلفة وجديدة من الصعوبة بمكان. كما يتطلب وقتاً طويلاً قد يمتد لسنوات أو عقود كما في حالات سنأتي على ذكرها.

وفي الجانب البيئي. فإن التأثير يكون أوسع وأكبر حجماً لاعتبارات كثيرة. منها تحويل مناطق تقع غالباً في محيط قريب من موارد المياه لشرب الإنسان والحيوان. ومن الغابات حيث الاحتماء بظلالها والاستفادة من أخشابها ونباتاتها وأعشابها: مما يهدد البيئة الطبيعية المستدامة بسوء الاستخدام والنزف غير المقنن لهذه الموارد. فينعكس ذلك كله على من يعيشون بالقرب منها ويستفيدون منها في حياتهم ويتكسبون منها.

القرن الإفريقي بؤرة صراعات وحروب:

جغرافياً. تمثل منطقة القرن الإفريقي. بؤرة صراعات وحروب أهلية امتدت بعضها لعقود طويلة كما في حالة السودان الذي شهد صراعاً دامياً وطويلاً بين شماله وجنوبه. انتهى بانفصال



حوالي نصفهم الحدود إلى أوغندا. حيث أصبح الوضع الآن في شمال البلاد حرجاً. وبلغ معدل الواصلين الجدد حوالي ٢٠٠٠ شخص يومياً. ووصل التدفق إلى ذروته في فبراير الماضي مع وصول أكثر من ٦٠٠٠ شخص في اليوم. وفي مارس فاقت ذروة التدفق في اليوم الواحد ٥٠٠٠ شخص مع وصول أكثر من ٢,٨٠٠ شخص يومياً بعد ذلك التاريخ.

وأوضح ممثل المفوضية في إثيوبيا (كستي قبرزقيهر). في تصريحات نقلتها عنه وكالة الأناضول التركية. أن ٦٥٪ من إجمالي أعداد اللاجئين المسجلين لدى المفوضية منذ سبتمبر ٢٠١٦ أطفال. بينهم ١٧ ألفاً و ٧٠٩ من فقدوا أبويهم أو ليس لديهم روابط أسرية.

وقال إنهم تلقوا ٦٪ فقط من إجمالي ١٥٧ مليون دولار طلبتها المفوضية لتمويل احتياجات اللاجئين. مشيراً إلى أن ٩٤٪ المتبقية خلقت فجوة في توفير متطلبات اللاجئين في الخيمات. موضحاً أن التدفقات المستمرة للاجئين من جنوب السودان على الإقليم أصبحت فوق طاقة الحكومات المحلية الأمر الذي خلق ضغطاً على المجتمعات المضيفة والبيئة.

وأضاف أن المفوضية السامية تشعر بقلق شديد من تزايد أعداد اللاجئين إلى الإقليم. مؤكداً أنها تبحث في توسعة مخيمات اللاجئين في إقليم بني شنقول المتاخم لإقليم غامبيلا. ووفقاً للأرقام الرسمية. تستضيف إثيوبيا أكثر من ٨٢٩ ألفاً و ٩٢٤ لاجئاً من دول الجوار. ٤٤٪ منهم من جنوب السودان. ويضم إقليم غامبيلا المتاخم لحدود جنوب السودان. أربعة معسكرات للاجئين الجنوب وهي: فوخيديو. وليكتور. وكولي ١. وكولي ٢.

كما تستضيف أوغندا الجارة الجنوبية لدولة جنوب السودان أكثر من ٨٣٤,٠٠٠ لاجئاً من جنوب السودان. وأكثر من ١٩٤,٠٠٠ وافد جديد في عام ٢٠١٧ وحده. تشكل النساء والأطفال ٨٦٪ منهم وبين هؤلاء ٢١,٠٠٠ قاصر غير مصحوب من أهله أو من وصي قانوني.

ويقول (بورنويل كاتاندي). ممثل المفوضية في أوغندا إن المفوضية

يستطيعون العودة إليها للظروف الأمنية واستمرار الصراعات والحروب الأهلية فيها. وبذا تتفاقم مشكلتهم وتتسع مأساتهم.

ويمكن قراءة الأحداث. وما ينتج عنها من أوضاع اللجوء في القرن الإفريقي بحسب تقارير المنظمات الإنسانية. ومنها أرقام وردت من المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة. وهي باختصار:

السودان ودولة جنوب السودان:

عانى السودان قبل انفصال الجزء الجنوبي منه. من آثار صراع دموي طويل. فقد فيه مئات الآلاف من الأرواح إن لم نقل الملايين طيلة خمسة وخمسين عاماً أي منذ استقلاله عام ١٩٥٦. ولم يتوقف نزيف الدم حتى بعد انفصال جنوبه عام ٢٠١١. فتحوّلت الحرب إلى صراع داخلي في الدولة الوليدة.

تسبب هذا الصراع في هروب مئات الآلاف من السكان إلى دول مجاورة مثل كينيا وأوغندا وإثيوبيا وتشاد. كما أجهت أخيراً أعداد كبيرة من لاجئي جنوب السودان إلى السودان الشمالي عبر مناطق حدودية.

ولم يتوقف سبيل اللاجئين الهاربين من الاقتتال في بلدهم الوليد لحظة واحدة منذ اندلاع الأحداث في ديسمبر ٢٠١٣. بحسب مسؤولين في المفوضية العليا لشؤون اللاجئين بالأمم المتحدة. ما يزيد الوضع تعقيداً.

ومنذ اندلاع الصراع في جنوب السودان قبل ثلاث سنوات. تمزقت الأسر الجنوبية وتشتت أفرادها في موجات لجوء في دول الجوار. كما لا يزال العنف والجوع والهجمات العشوائية ضد المدنيين عوامل تتسبب بنزوح جماعي. وهو ما رفع عدد النازحين داخليا واللاجئين على التوالي إلى ١,٩ مليون شخص في بعض الإحصائيات الرسمية.

وقالت المفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة إن أعداد اللاجئين من دولة جنوب السودان. في إقليم قميبيلا بغرب إثيوبيا بلغ ٣٦٦,١٩٨ ألف لاجئ. منهم ١٨٠ ألفاً دخلوا عمق الأراضي الإثيوبية بعد أن أدى جدد القتال وأعمال العنف المروعة وموجة الجفاف والجماعة إلى فرار آلاف الأشخاص. ما يجعل أزمة اللاجئين في جنوب السودان الأسرع نمواً في العالم اليوم.

وتفيد جهات إنسانية بأن معدل اللجوء والنزوح مرتفع جداً قياساً مع مجموع عدد سكان البلاد الذي يبلغ نحو ٦ ملايين نسمة. وينذر معدل النزوح الجديد بالخطر. ويشكل عبئاً ثقيلاً على منطقة تزداد معدلات الفقر فيها وتستنفد مواردها بشكل سريع.

وبحسب المتحدث باسم المفوضية (بابار بالوش) في مؤتمر صحفي في جنيف فإنه (ليس هناك بلد مجاور بأمان من هذه الأزمة. فاللاجئون يفرون إلى السودان وإثيوبيا وكينيا وجمهورية الكونغو الديمقراطية وجمهورية إفريقيا الوسطى. وقد عبر

للتدريب العسكري. غير أن الغالبية منهم فارون من جنيدهم أو أخذهم إلى معسكرات التدريب. مشيراً إلى ازدياد نسبة طالبي اللجوء من الإريتريين الشباب إلى ثلاثة أضعاف خلال عام واحد فقط.

ونوه التقرير إلى زيادة أعداد طالبي اللجوء الإريتريين في أوروبا بنسبة ثلاثة أضعاف عددهم في السابق. فيما ارتفعت نسبة العابرين للسواحل الإيطالية إلى ٢٢٪. حيث يأتون في المرتبة الثانية بعد السوريين.

وحدد التقرير عدد الإريتريين طالبي اللجوء بسبعة وثلاثين ألفاً. طلبوا اللجوء في ثمان وثلاثين بلداً أوروبياً خلال عشرة أشهر فقط. بالمقارنة مع ١٣ ألفاً خلال نفس الفترة من العام المنصرم. ذاكراً أن الأغلبية الساحقة من هؤلاء الذين طلبوا اللجوء بكل من السويد وألمانيا وسويسرا وهولندا. تم قبول طلبات ٨٠٪ إلى ٩٠٪ منهم.

وأوضح تقرير مفوضية اللاجئين الدولية أن أعمار ٩٠٪ من الإريتريين الذين دخلوا إثيوبيا خلال أكتوبر ٢٠١٤م تتراوح بين ١٨ - ٢٤ عاماً. معللين سبب خروجهم بحملات التجنيد الإجبارية وأملاً في فرص عمل وتعليم بالخارج.

ورداً على تلك التقارير. وجه وزير الخارجية الإريتري انتقادات حادة للمفوضية العليا لشؤون اللاجئين الدولية. متهماً إياها بالنفاق وتزوير الحقائق. حيث قال: (إنه بعد تشجيع الإريتريين على اللجوء وتصنيف جئوهم لجوءاً سياسياً وقبولهم لاجئين سياسيين منذ نحو عشر سنوات. فإن دموع التماسيح التي تريقها المفوضية لن تجمل صورتها أمام العالم).

أما السيدة (شيلا كيثاروس) المحقق الدولي في حالة حقوق الإنسان في إريتريا. فقد كان لها رأي آخر. حين ردت على تصريحات المسؤولين الإريتريين بقولها: «لقد تسنى لي اللقاء بعدد كبير من المواطنين الإريتريين. لذا لا أستغرب الزيادة المضطردة في أعداد اللاجئين من هذا البلد. وذلك لأن السلطات الإريترية لا تريد تغيير أسلوبها في الحكم المتسبب في ازدياد نسبة الهجرة. لقد اتضح لي ما جمعت من معلومات أن لا وجود لحكم القانون هنا. وأن انتهاك حقوق الإنسان أمر معتاد. هناك العشرات من المحتفين بلا أثر. ومن تم تصفيتهم دون محاكمة. ومن المعتاد جداً أن يتم اعتقال أو سجن الكثيرين وتعذيبهم دون تهمة أو محاكمة. وهذه الأسباب مجتمعة هي التي تضطر الإريتريين للجوء. والخدمة العسكرية الإلزامية غير محدودة الأجل تأتي على رأس تلك الأسباب». وانتهت بالقول «لجنة التحقيق التي أنا ضمن أعضائها سوف تحقق في هذه الانتهاكات. وأنا على ثقة بأن اللجنة سوف تقدم تقريراً موضوعياً ومحابداً عن أحوال حقوق الإنسان في إريتريا».

إثيوبيا:

أما إثيوبيا. فتعتبر من الدول المستقبلية للاجئين. وبؤرة جذب



وشركاءها يحتاجون إلى أكثر من ٥٥٨ مليون دولار أمريكي لتلبية احتياجات لاجئي جنوب السودان في أوغندا وحدها. بما في ذلك الغذاء والماء والمأوى وسبل كسب العيش. ويضيف كاتاندي: «بعد أربعة أشهر على بداية عام ٢٠١٧. تلقينا أقل من ١٠٪ من التمويل. وينبغي على المجتمع الدولي أن يبدي المزيد من المسؤولية تجاه أزمة اللاجئين الأسرع نمواً في العالم: فمستقبل جيل كامل من الأطفال الذين فقدوا أحد الوالدين. أو كليهما على المحك. بما أنهم لا يستطيعون الذهاب إلى المدرسة أو الاستمرار في الحياة التي يستحقها جميع الأطفال».

إريتريا:

أما في دولة إريتريا. فقد بدأت فيها ظاهرة الهجرة الجماعية واللجوء لدول الجوار الإقليمي منذ سنوات الثمانينات من القرن الماضي فيما سُمي بحرب التحرير. وهي الفترة التي سبقت استقلال الدولة الإريترية عن إثيوبيا عام ١٩٩١.

وخلال حرب التحرير ظلت الهجرات الجماعية تتوافد على السودان بشكل خاص. وإثيوبيا وجيبوتي بأعداد أقل. إضافة لأعداد أخرى ضخمة لجأت إلى دول أوروبية وأمريكا وكندا وأستراليا في موجات متتالية أصبح أغلبهم مواطنين في تلك الدول بحكم الإقامة فيها. ويشكلون جاليات كبيرة يمثل بعضهم الآن الجيلين الثالث والرابع من الأبناء.

وبحسب تقرير للمفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة. تعد الظروف الاقتصادية الشاقة وحملات التجنيد القسرية للخدمة الوطنية التي تستهدف فئة الشباب من أهم أسباب لجوء الإريتريين.

ويضيف التقرير أن من استجوبتهم المفوضية قالوا إنه على الرغم من أن بعضهم قد تم تشخيص حالاتهم بعدم اللياقة

في الشرق مثل أسعيتا، وبرحالي، ودخلوا أدبن وأريشا.

الصومال:

وكذلك فعلت الحرب الأهلية والصراع على السلطة في الصومال الذي دخل عامه السابع والعشرين، أي منذ سقوط نظام الرئيس محمد سياد بري عام ١٩٩٠، وهو ما خلف نزوح مئات الآلاف من الصوماليين، إما إلى دول الجوار كلاجئين، أو للدخل الصومالي نفسه بالنزوح من مكان لآخر.

وقد خالفت الحروب والصراعات مع موجات التصحر والجفاف التي ضربت أقاليم كثيرة من الصومال أدت إلى حركة تنقل واسعة ومستمرة هرباً من آثار القحط وانعدام سبل العيش، ما فاقم مشكلة ومأساة هؤلاء اللاجئين الذين حُصروا بين خيارين أحلاهما مُرّ.

ويمثل اللاجئين الصوماليون في مختلف بقاع العالم، أكبر كتلة إفريقية مهاجرة ومنتزعة في القارات الخمس، لا ينافسهم في ذلك إلا اللاجئين الإريتريون قبل أن يشاركهم السوريون أخيراً في هذه الظاهرة.

ويتوزع الصوماليون الهاربون من الحرب الأهلية في بلدانهم بأعداد ضخمة في كينيا المجاورة حيث توجد العديد من معسكراتهم على الحدود بين البلدين، أو دخلوا كينيا نفسها حيث اكتسب كثير منهم جنسيتها، بل وأصبحوا يحتلون مناصب كبيرة في الدولة، وهو ما يميزهم عن رصفائهم من يعيشون في مخيمات اللاجئين ملتحمين السماء ومتوسدين الأرض في العراق.

وقد تحولت بعض هذه المعسكرات في تخوم كينيا لمراكز تجارية ضخمة وسوقاً مزدهرة لكل أنواع التجارة والبضائع وأحياناً الممنوعات منها، إلى جانب ممارسة تجارة تبادل العملات بيعاً وشراءً، فأصبحت تشكل تهديداً حقيقياً للاقتصاد الرسمي الكيني، حيث يسيطر بعض الصوماليين العاملين في هذه المعسكرات على عصب قطاع كبير من العمل التجاري في كينيا.

ويبدو الوضع أقرب لمشهد مسرحي، حين تعرف أن معسكرات اللاجئين دائماً ما تقام في مناطق حدودية متاخمة لتداخل قبلي، أي أن يكون للقبيلة امتداد بشري في أكثر من دولة، وهو ما يسهل اندماج القادمين الجدد مع من هم يتبعون للبلد الذي قدموا إليه.

ويبدو هذا واضحاً في النموذج الكيني حيث للقبائل الصومالية امتداد قبلي تاريخي للداخل الكيني، وكذلك بين إريتريا وإثيوبيا، وإريتريا والسودان، وشمال السودان ودولة جنوب السودان الجديدة.

وفيما تشكل هذه الظاهرة، شيئاً طبيعياً في قارة إفريقيا، فإنها تمثل عنصر توتر وبؤرة تنازع بين هذه المجموعات في كثير من الأحيان، وهو ما يهدد أمن واستقرار البلدان المتجاورة التي لا تستطيع السيطرة على هذا التداخل لأسباب إنسانية

لأغلب الفارين من دولهم المحيطة بها، فتعاملهم بحسب تقارير المفوضية العليا لشؤون اللاجئين، معاملة المواطنين الأصليين، حيث تسمح لأغلبهم بحرية العيش خارج معسكراتهم، كما تؤمن لهم سبل العيش الكريم بممارسة أعمال بسيطة حسب قدرتهم، إلى جانب توفير الرعاية الصحية والتعليم دون تمييز، ويشكل لاجئو جنوب السودان والصومال وإريتريا نسبة كبيرة بين هؤلاء اللاجئين، يشكلون عبئاً على اقتصادها إلا أنها تعاملهم معاملة إنسانية اعترفت بها الأمم المتحدة.

وفي تصريحات صحفية له أوضح رئيس الوزراء الإثيوبي هيلي مريام ديسالين إستراتيجية بلاده للتعامل مع إريتريا، قائلاً إن مجلس الوزراء قدم رؤيته للمصادقة عليها من قبل البرلمان، وإنها ستكون مرتكزا لسياسة التعامل مع إريتريا، مشيراً إلى أن خلافهم مع الحكومة الإريترية وليس مع الشعب الإريتري، مؤكداً أن إثيوبيا تستضيف أكثر من ٣٠٠ ألف لاجئ إريتري، وتعاملهم معاملة خاصة، وإنها اتفقت مع البنك الدولي والمانحين بحيث تتوفر فرص العمل للاجئين الإريتريين في المجمعات الصناعية التي تقيمها إثيوبيا.

واختتم بالإشارة إلى أن إثيوبيا تعتبر ثاني دولة في العالم تستضيف اللاجئين، وقال إن بلاده تستضيف أكثر من ٨٠٠ ألف لاجئ من الصومال، وإريتريا، وجنوب السودان.

وأكدت تصريحات رئيس الوزراء الإثيوبي ديسالين، ما أوردته المفوضية العليا لشؤون اللاجئين بأن إثيوبيا قد اتخذت منهجية جديدة تجاه اللاجئين الإريتريين في البلاد بالسماح لهم بالعيش خارج المخيمات حسب بنود مشروع (إخراج المخيمات) الذي أعلنت عنه الحكومة أخيراً، والذي يمكن للإريتريين الذين يستطيعون العمل، والاعتماد على أنفسهم مادياً، أو لديهم أهل أو أصدقاء يدعمونهم، العيش خارج المخيمات.

وقالت المفوضية إن هذا التحول ناتج عن محادثات بينها وبين الحكومة الإثيوبية، وطبقاً للمتحدث باسم المفوضية (أندريه مهاشيتش)، فإن السياسة الإثيوبية الجديدة تأتي استجابة لرغبات ومتطلبات اللاجئين ولتعزيز العلاقات بين شعبي البلدين.

وبموجب المشروع الجديد يستطيع الإريتريون العيش في المناطق الحضرية والحصول على الخدمات والمساعدة في بناء علاقات أقوى مع المجتمعات المضيفة.

وقالت المفوضية إنه حالما يبدأ تطبيق السياسة الجديدة، فإن نفقات اللاجئين ستنخفض بصورة كبيرة لأن المستفيدين من البرنامج سيعملون أنفسهم، ويستطيع أي إريتري ليس لديه سجل إجرامي، المشاركة في البرنامج الذي يتضمن أيضاً التدريب المهني وفرصاً للتعليم.

ويذكر أن معسكرات اللاجئين الإريتريين في إثيوبيا تتركز في شمال إثيوبيا في المناطق الحدودية مع إريتريا وهي معسكرات شملبا، وأي عيني، وعدي حريش، وحنصات، إضافة لمعسكرات

وحتى الآن. تقول جماعات الإغاثة إن التقارير الواردة عن التدخل لإنقاذ الوضع لا تزال ضعيفة المردود.

وما يزيد الموقف سوءاً، عدم الاستقرار الذي يهدد قوافل الإغاثة والمنظمات الدولية المانحة من القيام بواجبها وعملها في كل الأقاليم. حيث تقوم جماعات مسلحة تابعة لحركة الشباب الصومالي المتشددة المنتشرة على نطاق واسع في جنوب وسط البلاد بوضع حواجز. ويتم تقاضي ما يصل إلى ٤,٠٠٠ دولار مقابل الوصول إلى مناطق معينة. وفقاً لمشروع تقييم العمل الإنساني المعروف باسم مشروع قدرات التقييم.

ختاماً، هذه هي خارطة الأحداث في محيط دول القرن الإفريقي. التي ذكرنا في البداية أنها منطقة تموج بصراعات وحروب أهلية تهدد أمن وسلام القارة برمتها. كما أنها تهدد بتعطيل مشروعات وخطط التنمية فيها بالتوقف والانهايار.

وما لم تتدخل المنظمات المانحة بتنفيذ مشروعات إغاثة لإخراج هذه الشعوب من أوضاعها الراهنة. وذلك ببذل جهود حقيقية مع حكومات تلك الدول. وممارسة ضغوط دولية عليها لمراجعة سبل وأساليب الحكم الرشيد التي اعتمدها الاتحاد الإفريقي. ووقعت عليها أغلب دول القارة. فإن الوضع مَرشَح للمزيد من توسع المشكلة. وتفصل فرص الاستقرار والأمن في هذا الجزء من العالم.

جهود الرابطة في دعم اللاجئين والنازحين

رابطة العالم الإسلامي لها حضور مميز بين عشرات المنظمات الدولية للإغاثة في هذه المنطقة. وقد بدأت تنظيم حملات الإغاثة وسط المتأثرين بالنزاعات والصراعات والنازحين من مناطقهم بسبب التصحر والجفاف الذي ضرب مساحة شاسعة مخلفاً مئات الآلاف من البشر الذين فقدوا المسكن والمأكل. كما فقدوا الأنعام التي هي وسيلة عيشهم الوحيدة. وامتدت قوافل الإغاثة التي رعتها الرابطة عن طريق هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، والهيئة لديها خطة تنفذها خلال هذا العام في كل مناطق الكوارث في القرن الإفريقي.

ويتركز عملها في علاج الأمراض والوقاية من البوابات. والتصدي لحالات سوء التغذية وسط الأطفال وتهيئة ظروف التعليم والاستقرار لهم.

وتتضمن خطة الاستجابة الإنسانية توفير خدمات في مجال الغذاء والصحة وماء الشرب النظيف. وفي ذلك تقدم هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية مساعدات عينية. مع الاهتمام بالمشايخ الموسمية في رمضان وذو الحجة. بالإضافة لبرامج العودة الطوعية. وتقديم خدمات الرعاية الصحية الأولية. وإعادة الإعمار في المناطق التي نزح منها المواطنون. ودعم المزارعين وتمليكهم أدوات الإنتاج الزراعي والحيواني.

وحرص الهيئة على تقديم أصناف غذائية مطابقة لثقافة المجتمع الغذائية. كالدقيق والسكر والزيت والأرز وحليب البودرة.

وارتباطات وامتدادات أسرية. ولكنها تبقى في النهاية سببا في كثير من الصراعات الحدودية ومشاكلها بين الدول.

كما شهدت الصومال موجات نزوح داخلية من مناطق الصراع والجفاف والتصحر. إلى محيط العاصمة مقديشو. حيث تشكل هؤلاء (عددهم يتراوح بين المليون والمليون ونصف المليون) بؤرة توتر مستمرة للحكومة. إذ يشكلون (نقطة جذب) لتجنيد المزيد من الشباب العاطلين والناقمين على أوضاعهم المعيشية الذين لا يتورعون للانضمام لحركة الشباب المتطرفة. التي تستغل فقرهم وحاجتهم لغسل أدمغتهم وغرس الفكر المتطرف في عقولهم واستخدامهم وقوداً لحربهم العنيفة.

وزاد من مأساة الصوماليين موجة جفاف شديدة ضربت أجزاء واسعة من الدولة. وهي لا تهدد بإحداث مجاعة فقط. وإنما تشكل خطراً على استمرار طريقة الحياة الرعوية القديمة في البلاد.

ورغم ما يتميز به الصوماليون من قوة الاحتمال وشدة وسعة الحيلة. يبقى انحباس المطر للسنة الثالثة على التوالي يهدد الإنسان والحيوان على حد سواء. وأياً كانت قوة الصمود المتبقي لديهم في مواجهة الأزمة. فإنهم يتعرضون الآن لأقصى درجات الاختبار.

ومع توقع أن تزداد دائرة الجفاف اتساعاً في الأشهر المقبلة. فإن الوضع لا يبشر بالخير حيث سيعاني عندها نصف الشعب الصومالي (٦,٢) ملايين نسمة من نقص الغذاء وسيكون بحاجة إلى دعم سبل كسب العيش. وما لم يتم توسيع نطاق المساعدات بسرعة. فسوف تكون الظروف مهيباً لتكرار مجاعة عام ٢٠١١ التي أودت بحياة أكثر من ربع مليون شخص. وهو ما حدا بالرئيس الصومالي الجديد محمد عبد الله فارماجو. الإعلان أن (الوضع قد تحول إلى كارثة وطنية). وناشد الجهات المانحة الدولية زيادة التمويل. وفي الوقت نفسه. تسعى الحكومة في مقديشو. وبمعاونة الوكالات الإنسانية جاهدة لتنسيق التصدي لآثار الجفاف. ولواكبة وتيرة انتقال الناس في مختلف أرجاء البلاد بحثاً عن المعونة.

ومع أن موجات الجفاف تتكرر في الصومال بصفة دورية. إلا أن انحباس المطر في العام الماضي فاقم موجة النزوح هذا العام. وتمثل ظروف الجفاف الحالية وبالأحرى محل على المجتمعات المحلية التي تعتمد على الزراعة وتربية الماشية.

رئيس عمليات اللجنة الدولية في الصومال «جوردي رايش». عبر عن الوضع في هذا البلد المنكوب بقوله «تمثل المواد الغذائية القليلة المتوفرة مساعدة إغاثية مؤقتة للعائلات التي تعاني ولم يتبق لديها إلا خيارات قليلة». وأضاف «لا يزال أمامنا الكثير. ونحن نوسع نطاق استجابتنا لحالة الطوارئ لتشمل أجزاء أخرى من البلاد». وانتهى إلى القول «ما بُذل ليس سوى المرحلة الأولى من استجابة اللجنة الدولية وجمعية الهلال الأحمر الصومالي للوضع المتردي والباعث على القلق الذي يشهده الصومال».

أبو حنيفة رائد التربية على التسامح



الزبير مهداد - المملكة المغربية

في هذا الكتاب ثناء التابعين وأتباعهم على أبي حنيفة. منهم الأعمش والمغيرة وشعبة وسعيد بن أبي عروبة وابن عيينة. كما صنّف فيه الحافظ محمد بن يوسف الصالحى الشافعي رحمه الله كتاباً سماه عقود الجمال في مناقب أبي حنيفة النعمان. قال علي بن عاصم: «لو وزن عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الأرض لرجح بهم».

أبو حنيفة المريبي

لقيت حلقة أبي حنيفة إقبالا هاما من المتعلمين. فتهافتوا عليها. حتى كانوا يتزاحمون على الجلوس بين يديه. وكانوا كلهم في شوق لحلقة أستاذهم لا يبرحونها إلا رغما عنهم. قال أبو يوسف: «اختلفت إلى أبي حنيفة تسعا وعشرين سنة. ما فاتتني صلاة الغداة. وصحبت أبا حنيفة سبعا وعشرين سنة لا أفارقه في فطر ولا أضحي. إلا من مرض».

لم يكن هم أبي حنيفة شحن عقول التلاميذ بالمعلومات. بل كان مربيا صادقا مخلصا في أداء رسالته نحو النشء. اشتهر عنه قوله: «الحِكَايَاتُ عَنِ الْعُلَمَاءِ وَمَجَالَسَتُهُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ

ولد أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن المرزبان في الكوفة عام ٨٠ للهجرة ونشأ بها. حفظ القرآن صغيراً وزار الحجاز وعمره ١٦ سنة. وأدرك بعض الصحابة والتابعين. أخذ القرآن الكريم عن عاصم بن أبي النجود وحفظه. ودرس الحديث والآثار. والنحو والأدب: ثم تفرغ لعلم الفقه فلزم شيخه حماد بن أبي سليمان ثمانين عشرة سنة ملازمة شديدة. فلما توفي شيخه جلس للتدريس وكان قد أتم الأربعين من عمره. وشارك في حلقات الجدل والمناظرة وتفرغ لدراسة الفقه وتعلمه وتعليمه. عُرض عليه تولي القضاء مرارا فامتنع. استمر في التعليم والإرشاد والتوجيه حتى توفي سنة مائة وخمسين للهجرة. وهو في السبعين من عمره.

زكى أبا حنيفة كثير من الأئمة. فقد نقل المزني في تهذيب الكمال تركيته والثناء عليه عن كثير من الأئمة منهم ابن معين وابن المبارك وابن جريج ويحيى بن سعيد القطان والشافعي. فذكروا من سعة علمه وورعه واشتغاله بالعبادة. وقد أطلال المزني في ذلك فذكر في حياة أبي حنيفة والثناء عليه قريبا من ثلاثين صفحة. وقد ألف الذهبي كتابا في فضائل أبي حنيفة وصاحبيه سماه مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن. وذكر

وينقل عبر القرون، كما حصل من اختلاف أبي حنيفة مع أصحابه أبي يوسف ومحمد بن الحسن، وزفر بن الهذيل وغيرهم من أئمة المذاهب على ما هو معروف. فهذا أصل جرى عليه التفاهم عند الفقهاء وينبغي أن يطرد هذا الأصل في كل خلاف يحصل بين المسلمين في كل زمن وحين، وفي كل عصر ومصر. وكان أبو حنيفة يرى التعصب للرأي من علامات ضعف الشخصية والتزمت وضيق الصدر ومحدودية التفكير. والإمام كان قوي الشخصية، عميق التكوين، واسع الأفق، واثقاً من نفسه حريصاً على اقتفاء الحقيقة، لذلك لم يكن متعصباً لرأيه، بل كان يستمع إلى آراء غيره ويعمل بها إذا ثبت له صحتها، فكان يترك رأيه إن ذكر له حديث يخالفه وليس هناك شك فيه، أو ذكرت له فتوى صحابي.

كان تلاميذه يكتبون عنه كل ما يسمعون منه، ولكنه نهى أبا يوسف عن ذلك، وأمره أن لا يكتب كل ما يسمعه منه لأنه قد يغير رأيه إن وجد رأياً أصوب منه، يروى أن مزاحم بن زفر قال لأبي حنيفة: يا أبا حنيفة، هذا الذي تفتي، والذي وضعت في كتابك، هو الحق الذي لا شك فيه؟ فقال: والله ما أدري لعله الباطل الذي لا شك فيه. وما اشتهر عنه قوله: «هذا الذي نحن فيه رأي لا يجبر عليه أحدًا، ولا نقول يجب على أحد قبوله، فمن كان عنده أحسن منه فليأت به». وما يحكى في هذا الباب أن الأمير جمع الفقهاء ليستفتيهم في أمر، فذكر أبو حنيفة رأيه إلى جانب غيره من الفقهاء، ثم ذكر الحسن بن عمار رأيه، فرجع أبو حنيفة عن فتواه، وقال: أخطأنا وأصاب الحسن، فقال الحسن: لو أراد أبو حنيفة أن يتشبه برأيه ويعتبره صواباً ويقنع الأمير بذلك، ويجعلني أترك قولي لأمكنه ذلك، فمن يومها عرف الحسن أن ليس هناك من هو أروع من أبي حنيفة.

التربية على التسامح وترسيخ السلم الاجتماعي

وصاياها لتلاميذه تدل على العلاقة الطيبة بين المربي وتلميذه، والأثر الطيب القوي للعلاقة التربوية في شخصية المتعلم وسلوكه وأجاءاته. من أهم الوصايا التربوية المنسوبة لأبي حنيفة وصيته لتلميذه أبي يوسف، صمّنها عدة نصائح تربوية في فقه السلوك ذات قيمة كبيرة، أوضح فيها أهمية العلم النظري المتوج بالعمل، وأهمية الاجتهاد والتجديد في الفكر والعقلية، وأهمية اختلاط العالم بالجمهور، وضرورة التوظيف الاجتماعي للعلم في التغيير الاجتماعي، والدعوة إلى المعروف والأمر به والنهي عن المنكر والحفاظ على وحدة الجماعة الإسلامية.

كان فهم أبي حنيفة للإيمان مبنياً على التسامح والمرونة، متجنباً التطرف والشطط في تعريف المؤمن، حرصاً على ترسيخ السلم الاجتماعي. فقد جعل الإيمان مرادفاً للتصديق، ومميزاً بينه وبين العمل، والإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولا يتفاضل الناس فيه، وليس هناك مراتب في الاعتقاد، لذلك لا يجوز ولا يصح تكفير أحد من المؤمنين بفعل ارتكبه أو عمل تركه، ما دام مصدقاً بالدين. عرف عنه قوله المشهور: «لا تكفر أحداً بذنب ولا تنفي أحداً من الإيمان».

الفقه، لأنها آداب القوم وأخلاقهم». لذلك كان ينهى أصحابه عن المجالس المعروفة بقلة العلم وفقر الاستفادة، ويروى أنه جاءه أصحابه وفيهم ابنه حماد وكانوا يتناظرون في الكلام، فنهاهم عن هذا المنهج، فقالوا له: رأيناك تناظر فيه وتنهانا عنه؟ فقال: كنا ننظر وكان علي رؤوسنا الطير مخافة أن يزل صاحبنا، وأنتم تناظرون وتريدون زلة صاحبكم، ومن أراد أن يزل صاحبه فقد أراد أن يكفر صاحبه.

تميز أبو حنيفة في حياته التربوية بلطافته وتلفه مع تلاميذه، وحرصه على تأسيس علاقته بهم على المودة والحوار والاحترام المتبادل، فكان يواسيهم ويلطفهم، ويعينهم من ماله على حمل أعباء الحياة حتى يبسر لهم التفرغ لطلب العلم، وكان كثيراً ما يثني على طلابه ويبذل النصح لهم، بل كان يعتبر تلاميذه أصحابه، فكانوا محط رعايته، ويوصيهم بعد تخرجهم عليه أن يجعلوا تلاميذهم في منزلة أهلهم وأبنائهم، متخذاً من سلوكه معهم قدوة لهم يقتدون به.

التربية على تقدير الاختلاف وكراهة التعصب

حين كانت تعرض عليه المسألة، كان يطرحها على أصحابه، ويمنحهم كامل الحرية في النقاش والحوار، ثقة فيهم، وحرصاً على إتاحة فرصة التدريب على النقاش والتزام آداب الحوار وتقدير الاختلاف، فكانوا يتدارسون المسألة ويتجادلون حولها، ويكثر كلامهم وترتفع أصواتهم، وهو ساكت يستمع لهم حتى يبدى الجميع برأيهم، فإذا أخذ في شرح ما كانوا فيه سكتوا، وتكون النتيجة محصلة عامة لكل ما تداولوه وتدارسوه.

ذكر الكردي برواية أبي خطاب الجرجاني قوله: كنت عند أبي حنيفة، وإذا شاب سألته عن مسألة فأجاب، فقال الشاب: أخطأت، ثم سألته عن أخرى فأجاب، فقال أخطأت، فقلت لأصحابه: سبحان الله، ألا تعظمون الشيخ؟ يجيء إليه شاب فيخطئه مرتين وأنتم سكوت، فقال لي: دعهم، فإني عودتهم من نفسي ذلك، حتى وصل الأمر بأبي حنيفة أنه قد يختلف في الرأي أو في الحكم الفقهي مع بعض تلاميذه.

ويروى أن مجلسه كان يقوم على النقاش المتبادل، فإذا ما غاب أحد التلاميذ أجل النقاش حتى حضوره، ويؤمن ذلك المجلس بأجمعه بالرأي المتجدد والاجتهاد، لا الاستبداد في الرأي، في الوقت الذي يستند هذا النقاش إلى أصول علمية ليكون أقرب للقلب ومراعاة لليقين.

كان أبو حنيفة يحترم حق تلاميذه في الاختلاف عنه في اجتهاداتهم، مراعاة للضابط الفقهي الشهير الذي مفاده أن المجتهد في المسائل التي لا نص فيها مأجور على اجتهاده إذا لم يقصّر، والإثم عنه مرفوع، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، هذا الضابط من الضوابط الوفاقية التي تفاهم عليها أئمة المذاهب حتى صارت عرفاً بينهم، فترى الخلاف بين أئمة المذهب الواحد يحدث وتنتهي المسألة إما إلى اتفاق الأئمة أو إلى اختلافهم، ويدون ذلك الاختلاف

لأن إخراج أحد من دائرة الإيمان يعني إخراجه من دائرة ولاء المسلمين وهدر دمه. وفي ذلك ما فيه من المفسد والفتن العظيمة. فكانت هذه القاعدة أحسن وسيلة لإطفاء نار الفتن بنور العقل. فالإمام أبو حنيفة كان من أبرز منبلي الاتجاه التسامحي في الإسلام.

كان أبو حنيفة حريصاً على ترسيخ السلم الاجتماعي في سلوكه ووصاياه وفتاواه. داعياً لتفادي كل ما يمكن أن يؤدي إلى الفتن. قال في وصيته لتلميذه يوسف بن خالد السمتي: «كأني بك وقد دخلت البصرة، وأقبلت على المناقضة مع مخالفيك. ورفعت نفسك عليهم. وتناولت بعلمك لديهم. وانقبضت عن معاشرتهم ومخالطتهم. وهجرتهم فهجروك. وشتمتهم فشتموك. وذللتهم فضللوك. وبدعتهم فبدعوك. واتصل ذلك الشئ بننا وبك. واحتجت إلى الهرب. والانتقال عنهم. وليس هذا برأي». يدعوا أبو حنيفة تلميذه إلى التحمل والصبر. ومدارة الخصوم. «فإنه ليس بعاقل من لم يدار من ليس له من مداراته بد. حتى يجعل الله تعالى له مخرجاً».

إلى جانب المداراة. وجنب المواجهة. يدعوا أبو حنيفة تلميذه إلى الاختلاط بالعامية ونبد العزلة. مستدلاً على ذلك بأمر الله العلماء بأن يبينوا الدين للناس ولا يكتموا. وهذا الاختلاط هو الذي يضمن الفاعلية الاجتماعية للعلم. لافتاً نظر تلميذه إلى المعنى الجامع للإسلام الذي يلزم العالم في ممارسته للدعوة إلى الله أن يعرف أن الله عز وجل إنما بعث رسوله رحمة. يجمع به الفرقة ويزيد الألفة. ولم يعنه ليفرق الكلمة. ويحرس المسلمين بعضهم على بعض. ومن واجبات العالم المسلم أن يبشر ولا ينفر. انطلاقاً من المعنى الجامع للإسلام. ويبقى النقاش مع المسلمين في حدود الدعوة للرجوع عن الخطأ وبالخسنى.

كما استخلص من تجربته الحياتية الشخصية ما صاغ منه النصائح المتعلقة بالسلوك الاجتماعي للعالم. ففي نصيحته لتلميذه أبي يوسف. يلفت نظره إلى أنه بسبب التغيرات الاجتماعية التي حدثت في المجتمع ستظهر أشياء جديدة لم تكن مألوفة وشائعة. وعليه أن يعمل على وضع حلول مناسبة. وأن يقترح الأساليب النافعة والمفيدة. كما ينصح بضرورة العمل على تأليف قلوب الناس. والحرص على ضمان تلاحم أفراد المجتمع الإسلامي. تأسيساً على فهم معنى الإسلام الذي يدعوا إلى الاجتماع والتضامن والوحدة. حتى وإن كان ينكر منهم موقفاً أو تصرفاً. لأن إنكاره هذا قد يؤدي إلى انقسام المجتمع المسلم. وذكر تلميذه بأن الله تعالى قد أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة لعباده لتوحيد صفوفهم وجمع شملهم وزيادة تآلفهم. ولم يعنه ليفرق كلمتهم ويشنت شملهم.

التسامح قيمة تربية إنسانية

إن ترسيخ المحبة. وإشاعة التسامح ومحاربة التعصب بأنواعه. هي من المهام الأساسية للتربية. خطوة أولى لإنشاء مجتمع مسلم يسوده التسامح والتعايش ويكفل لأفراده حق الاختلاف. فالمؤسسة التربوية. مدرسة كانت أم حلقة مسجدية أم جمعية.

تتحول إلى معسكرات فاشية؛ لصناعة التعصب المذهبي والديني حين تخرقها التيارات المتعصبة. والاختراق. قد يحصل من خلال فكر يرسخ الكراهية والعنصرية والتناوب المذهبي والطائفي. فتخرج أفراداً يحملون ضغينة وحقداً لغيرهم الذين يختلفون معهم. الأمر الذي يؤدي إلى التكفير وتبادل التهم والاحتقان الشعبي. الذي عانته أمتنا كثيراً.

فمعظم حالات العنف والتشدد والتعصب المذهبي. يمكن القضاء عليها بتقوية تكوين الأفراد. وتأهيلهم الفكري. لتمكينهم من معايير دقيقة وموضوعية ونزيهة لوزن الأمور والقضايا بميزان العدل. ونشر ثقافة الحوار. وتربيتهم على قبول الاختلاف واحترام حق الآخر في الاختلاف وفي الاستقلال الفكري. والتزام الإيجابية في الحكم على الآخرين. بتحسين الظن بهم. والبحث لهم عن الأعذار. وجميل التأويل. والترجمة الصحيحة لقيم الأخوة الدينية. وهذه الأمور أو بعضها مجدها مدونة في كثير من المصنفات التي خلفها علماءنا الأعلام.

المراجع

ابن فورك. أبو بكر محمد بن الحسن: شرح العالم والمتعلم. تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة. مكتبة الثقافة الدينية. ٢٠٠٩.

أبو زهرة. محمد. أبو حنيفة: حياته وفقهه. دار الفكر العربي. القاهرة ١٩٤٥.

آل هرموش. محمد عبود: أسباب وأدب الاختلاف والتفاهم في الفقه الإسلامي. مجلة التفاهم. البحرين. العدد ٣٦. سنة ١٤٣٣ موافق ٢٠١٢.

الجابري. محمد عابد: المثقفون في الإسلام. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ١٩٩٥.

الجندي. عبد الحليم: أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٩٦٦.

الذهبي. محمد بن أحمد (الإمام الحافظ) مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه. تحقيق زاهد الكوثري وأبو الوفاء الأفغاني. لجنة إحياء المعارف النعمانية. حيدر آباد. الهند. ١٤١٩.

السيد. رضوان: أبو حنيفة والمنهج التربوي الإسلامي. مجلة الفكر العربي. معهد الإمام العربي. بيروت. عدد ٢١ السنة ٣ (يوليو ١٩٨١).

الشرباصي. أحمد: الأئمة الأربعة. القاهرة. دار الهلال.

الشريفة. خالد سليمان: الفكر التربوي في يوميات أبي حنيفة. مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية. عمان. جامعة الأردن. المجلد ٣٧. العدد ٢. سنة ٢٠١٠.

عفيفي. السيد: حياة الإمام أبي حنيفة. المطبعة السلفية. القاهرة ١٣٥٠.

غاوجي. وهي سليمان: الإمام أبو حنيفة. ضمن كتاب من أعلام التربية الإسلامية. مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض. ١٩٨٨. الجزء ١.

المدير الإقليمي لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ومكتب الرابطة في شرق إفريقيا:

عمل الدعوة لا يسير على الطريق العلمي السليم ويحتاج إلى تحديث

حوار: توفيق محمد نصر الله

حدثنا إلى الدكتور محمد علي إبراهيم بخاري المدير الإقليمي لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ورابطة العالم الإسلامي لدول شرق إفريقيا. وقد ناقشنا معه أحوال المسلمين في كينيا وأبرز المشكلات والتحديات التي تواجههم. وكيف يمكن التغلب عليها. ومنها ذوبان أبناء المسلمين والابتعاد عن ممارسة الشعائر الدينية، والفقر والجوع والمرض والبطالة. مما جعلهم لقمة سائغة لدى النصارى والرافضة. الذين يستغلون جهلهم وحاجتهم لتغيير معتقداتهم. كما ناقشنا معه واقع الدعوة في كينيا والجهود الدعوية الموجودة على الساحة هناك. وأجج السبل لحماية عقائد المسلمين وتعليمهم ودعوتهم. والخطوات التي اتخذت بخصوص اللغة العربية و تعليمها، خاصة أن بعض الجامعات الإفريقية فتحت أقساماً وكليات لتعليم اللغة العربية.



بداية نرجو التكرم بإعطاء قراء مجلة الرابطة فكرة عن أحوال المسلمين في جمهورية كينيا؟

جمهورية كينيا هي إحدى منظومة العقد في شرق إفريقيا. وهي دولة متقدمة بالنظر إلى زميلاتها في إفريقيا. الشعب الكيني شعب طيب مسالم لطيف. تعتبر الأرض الكينية مجالاً خصبا لنشر الدعوة الإسلامية متى ما تم توجيه الدعوة بشكل صحيح. يمثل المسلمون أكثر من ثلث السكان البالغ تعدادهم

• الجمعيات والمؤسسات في كينيا
ينقصها التمويل لكونها تقوم أصلا على
الصدقات



الرابطة مع الحكومة الكينية؟

يقع مكتب رابطة العالم الإسلامي في كينيا في منطقة ويتسلاند التي تعد موقعا إستراتيجيا في العاصمة نيروبي لكونها من أرقى الأماكن في كينيا. ويمتد على مساحة ما يقرب من ٣٠٠٠ متر مربع. وأرضه ملك للرابطة. وتم إنشاء المكتب في عام ١٩٩٢م.

ظلت علاقة المكتب بالحكومة الكينية علاقة طيبة ومميزة. وهناك تواصل مع الكثير من القيادات على أعلى مستوى من خلال البرامج والأنشطة التي تقوم بها الرابطة وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية. كما شارك العديد من الوزراء ونواب الرئيس والبرلمانيين في الكثير من أنشطة الرابطة والهيئة. وزار مكتبنا في ويتسلاند العديد من رجال الحكومة ومديري الجامعات والدوائر الحكومية.

الجهود والأنشطة:



حوالي ٤٠ مليون نسمة. ويتركز المسلمون في المدن الساحلية ويعيشون في أمن وأمان ويمارسون شعائرهم الإسلامية بكل يسر وحرية. ويصيح الأذان في مساجدها. يتقلد المسلمون في هذه الدولة مناصب رفيعة؛ وزراء وبرلمانيين ومديري إدارات. ومعظمهم ينحدرون من أصول صومالية. وهناك المسلمون من أصل يمني وعماني ومعظمهم جّار. وتوجد العديد من الجامعات الإسلامية والمعاهد والجمعيات والمؤسسات الدينية الحكومية والأهلية التي تنشط في تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

المشكلات والتحديات :

- ما أبرز المشكلات والتحديات التي تواجه المسلمين الآن في كينيا؟ وكيف يمكن التغلب عليها؟

الدستور الكيني يكفل حرية الأديان. لذا فقد انتشرت العديد من الأديان والمذاهب والنحل. فيوجد الإسلام والأحمدية والبهائية والهندوسية واليهودية والمذهب الشيعي. وهناك الكثير من المشاكل التي خيط بالمسلمين. منها الفقر والجوع والمرض والتشرد. ناهيك عن البرامج التي تدخل باسم المساعدات الإنسانية من قبل هيئات ومؤسسات تبشيرية. أضف إلى ذلك تقصير المسلمين القادرين في مساعدة إخوانهم خصوصا بالبرامج التوعوية والتنقيفية لتعريف الناس بأمر دينهم. مما جعلهم فريسة سهلة للتحويل إلى تلك الأديان. وعلى الرغم من أن رابطة العالم الإسلامي وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية تبذلان جهداً واضحاً ومميزاً في هذا السبيل إلا أن الحال أكبر من ذلك ويحتاج إلى دعم جميع المسلمين.

- ماذا عن مكتب رابطة العالم الإسلامي وكيف كانت علاقة

- ما أبرز الجهود والأنشطة التي قامت بها الرابطة والهيئات التابعة لها؟

نظمت الرابطة وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية مجموعة من المناشط والبرامج التي تخدم المسلمين في هذا البلد. وعلى سبيل المثال لا الحصر أقامت رابطة العالم الإسلامي محاضرة عن عاصفة الحزم تم الإعداد لها ونفذت في قاعة المؤتمرات

• النصارى والرافضة يستغلون جهل المسلمين بعقيدتهم الصحيحة

الكبرى، وحضرها العديد من الدعاة والأئمة ومديري الجامعات ورجال الأعمال، ومرشح الرئاسة في جمهورية كينيا وبعض البرلمانيين.

وأقيمت محاضرة أخرى داخل مسجد الرابطة حضرها العديد من الأئمة والدعاة وطلاب الجامعات ومحفظي القرآن الكريم. وفي مجال الدورات أقيمت دورة علمية شرعية في مدينة مياس. وعن طريق صناديق المسجد الخاصة بالصدقات، وُزعت المساعدات لأبناء المسلمين في النواحي الصحية والاجتماعية بما يقدر بأكثر من ١٥٠ شخصاً.

وفي مجال الدعوة هناك انتشار للدعاة التابعين للرابطة على الأرض الكينية يضطلعون بدورهم في الاهتمام بالمسلمين. وفي مجال الزيارات والتواصل مع المسؤولين في الدولة، قام عدد من رجال الحكومة بزيارة إلى مكتب الرابطة للتعرف على أنشطتنا وبرامجنا.

كما قام مدير المكتب بالتواصل مع الكثير من الوزراء والبرلمانيين ومديري الإدارات الحكومية ورؤساء الجامعات والمعاهد.

أما فيما يخص هيئة الإغاثة الإسلامية فقد اضطلعت بالعديد من الأعمال منها:

- كفالة أيتام المسلمين في مدن كينية عدة.

• كفالة أيتام أبناء المسلمين إحدى الطرق لتنصيرهم أو تشييعهم

- توزيع سلال رمضان الغذائية على ما يزيد عن ٢٠٠٠ مسلم.

- توزيع لحوم الأضاحي في عدد من المدن الكينية.

- تنفيذ برنامج حفر ٣٧٠ بئراً للسقيا وبناء ٤٢ مسجداً في مدن وقرى عدة على التراب الكيني.

- كفالة بعض طلاب العلم في الجامعات.

- عمل برنامج للاجئين اليمنيين والسوريين.

- تخصيص قافلة لإجراء عمليات القلب المفتوح.

- ترشيح بعض القيادات الدينية للحج على نفقة رابطة العالم الإسلامي.

- إقامة معرض لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية وهو أول معرض خاص يقام في إفريقيا.

وفي مجال الزيارات وتفقد أحوال المسلمين، زار مدير المكتب بعض الجامعات والمؤسسات والجمعيات الإسلامية في شمال وشرق وغرب وجنوب جمهورية كينيا للوقوف على احتياجات المسلمين. وكذلك قام بزيارات للقرى الموجودة في أدغال إفريقيا.

النشاط التنصيري:

- ماذا عن النشاط التنصيري في كينيا خاصة وأن المنصرين يتبعون وسائل أكثر تطوراً من غيرهم في إدخال الناس في النصرانية؟

مع الأسف الشديد هنالك بوادر ذوبان لأبناء المسلمين. وابتعاد عن ممارسة الشعائر الدينية، وتفسخ العادات والتقاليد، إضافة إلى الفقر والجوع والمرض والبطالة، مما جعلهم لقمة سائغة لدى النصارى لتغيير معتقداتهم إضافة إلى الرافضة الذين يستغلون جهل المسلمين بعقيدتهم الصحيحة.

وهناك موضوع في منتهى الخطورة بدأ يلعب عليه النصارى والشيعية الرافضة، وهو كفالة أيتام أبناء المسلمين وتقديم كل احتياجاتهم بأساليب عصرية من طعام وكساء وألعاب ومسكن. حيث يعرضون خدماتهم على دور الأيتام الخاصة بأهل السنة والجماعة التي تفتقر إلى أبسط إمكانيات دور الأيتام. والهدف هو تربية أبناء المسلمين على النصرانية وعلى الشيعة الرافضة.

- ما دور رابطة الشباب المسلم في كينيا في بناء المدارس وتقديم الرعاية لأبناء المسلمين؟

هنالك عدد من الجمعيات الشبابية التي تقوم بتنفيذ العديد من البرامج والأنشطة، ومنها بناء المساجد وهذا جيد ولكن تظل المشكلة الكبرى في صيانة وتشغيل تلك المساجد. حيث إن الأهالي لا يستطيعون دفع مرتبات الإمام ومنظف المسجد مما يجعل تلك المساجد مهجورة. كما أن تلك الجمعيات لا تملك مبالغ كفالة الأئمة أو صيانة المساجد.

- ما أجح السبل لحماية عقائد المسلمين وتعليمهم ودعوتهم. وما مدى التعاون والتنسيق مع الجهات الإسلامية العاملة والموجودة على الساحة الآن؟

كما قلت سابقاً فإن هناك ذوباناً من أبناء المسلمين وانحرافاً نحو ترك شعائر الإسلام، والانغماس مع النصارى لحالة الفقر والجوع والمرض.

لذا علينا أن نحدد السبب، وأن نضع البرامج والأنشطة للشباب

لإعادتهم إلى الإسلام وهذا يحتاج إلى المادة التي تشكل الشخصية الرئيسية. كما أن الجهات الإسلامية والجمعيات والمؤسسات داخل جمهورية كينيا هي أصلاً تقوم على الصدقات.

واقع الدعوة:

واقع الدعوة في كينيا كيف تراه اليوم؟ وماذا عن الجهود الدعوية الموجودة على الساحة الآن؟

إذا أردنا أن نتكلم بصدق وشفافية فإن حال الدعوة لا يسير على الطريق العلمي السليم. ومن خلال عملي في كل من كينيا وتنزانيا وأوغندا فإن عمل الدعوة يحتاج إلى إعادة نظر وتحديث لعمل الدعوة. وقد تولدت لدي فئاعة تامة بأنه من المهم على إدارة الدعوة في رابطة العالم الإسلامي وهيئة الإغاثة الإسلامية إيجاد السبل التي تقن سبل الدعوة والدعاة وترصد أنشطتهم حيث لاحظت أن هناك عدداً من الدعاة جاوزوا (العمر الافتراضي) من حيث الأداء فلا يستطيعون القيام بأعباء الدعوة. وعمل معظمهم شكلي يفتقر إلى المضمون. إضافة إلى أن معظم الدعاة يفتقرون إلى تقنين أعمالهم من خلال إعادة صياغة استثمار عمل الدعوة. بحيث إنها أصبحت مجرد تعبئة فراغ بدون توثيق زمني ومكاني لأنشطتهم.

كما يفتقر معظم الدعاة إلى توثيق من يدخل في الإسلام. وإلى معرفة البرامج التي تعمل للمسلمين الجدد لتعريفهم بأبسط أمور الدين. وأن معظم الدعاة يتركزون في المدن بينما تترك القرى للنصارى وللشيعة لجذب أبناء المسلمين.

وأقترح إعادة دراسة أوضاع الدعوة. وأن يحدد عمر يُحال فيه الداعية للتقاعد أو الاستغناء عنه، والاستبقاء على من ثبت عنهم العمل الدؤوب والإفادة. ويكون التركيز على اختيار الدعاة من القرى البعيدة عن المدن. حيث الشيعة والنصارى يتركزون على طول السواحل. ولا بد من إعادة صياغة استثمار التقرير الشهري للدعاة. حيث تشمل زمان ومكان تنفيذ البرنامج. وعلى إدارة الدعوة العمل على دراسة وتحليل تلك التقارير. ويكون بموجبها التقييم السنوي ومن يلزم بتلك التعليمات يحدد له ومن على العكس يرشح غيره.

وأرى ضرورة عمل برامج موحدة للمسلمين الجدد. ويكلف الداعية ضمن عمله بالإشراف عليها. ويجري تخفيف الدعوة في المناطق القروية البعيدة بإضافة بدلات ومكافآت مثل بدل المواصلات للتنقل بين القرى.

- يعاني المسلمون في كينيا من نقص حاد في المواد الغذائية الناتجة عن موجة الجفاف التي عصفت بالمنطقة. إضافة إلى سوء الأوضاع الصحية وتفشي الأمراض والأوبئة. مثل الملاريا والإيدز والسل وشلل الأطفال وغيرها. فهل كان لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية دور في إغاثة الناس في القرن الإفريقي عامة وفي كينيا خاصة؟

نعم. يعاني المسلمون على الحدود القريبة من الصومال من قحط شديد ومجاعة ناجمة عن توقف هطول الأمطار. مما أدى إلى نفوق الماشية وشح مياه الشرب. وفي هذا الصدد فقد وجهت هيئة الإغاثة الإسلامية بضرورة العمل على مساعدة هؤلاء الناس. وفعلاً قامت بالتواصل مع عدد من المسلمين من أهل المنطقة. وجاءت التقارير التي تؤكد ما قلتموه. ونحن الآن بصد

• يمثل المسلمون ثلث سكان كينيا البالغ تعدادهم حوالي ٤٠ مليون نسمة

تقرير الحالة ودراسة الوضع لرفعه إلى مقام سعادة الأمين العام لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية للبدء في الإغاثة العاجلة بعد تحديد الاحتياجات الخاصة بتلك القرى المنكوبة.

قبائل الماساي:

- بدأت بعض المجموعات القبلية في وسط إفريقيا. مثل قبائل الماساي والبورنا تعتنق الإسلام. فما هي الجهود المبذولة في نشر الدعوة وتعليم الناس الجدد الإسلام؟ منذ نحو شهرين قمت بزيارة لمدة ثلاثة أيام إلى قلب قبائل الماساي على الحدود مع تنزانيا. والتقيت هناك بمجموعة من مسلمي قبائل الماساي. حيث زرت عدداً من المساجد والجمعيات الإسلامية. وتعرفت على احتياجاتهم. وفي هذا الصدد. وضمن برنامج حفر الآبار وبناء المساجد. وجهت بحفر أربع آبار وبناء ثلاثة مساجد بعد أن تعرفت على القرى التي تحتاج إلى ذلك.

- ما الخطوات التي اتخذت بخصوص اللغة العربية وتعليمها. ولا سيما أن بعض الجامعات الإفريقية فتحت أقساماً وكليات للغة العربية ولديها اتصالات مع الجامعات العربية لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؟ هناك تعاون ما بين الجامعات الإسلامية الكينية وجامعات

• هناك الكثير من المساجد مهجورة لعدم إمكانية دفع أجور التشغيل والصيانة

المملكة وهذا واضح. ولكن نحن بحاجة إلى تعليم اللغة العربية في المدارس الإسلامية وفي المساجد لأن في هذا الخير الكثير للناس. لذا لا بد من برنامج لكفالة معلمي اللغة العربية في المدارس والمساجد الإسلامية. بما سيكون له الأثر الكبير في تعليم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم.



جهود رابطة العالم الإسلامي في مواجهة التطرف (٤/١) البيانات الصادرة عن الرابطة

بقلم: د. أحمد عبد القيوم

لقد أنشئت الرابطة بموجب قرار المؤتمر الإسلامي الذي عُقد بمكة المكرمة في عام ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م، وهي عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي، وفي المجلس الاقتصادي والاجتماعي في هيئة الأمم المتحدة، وفي العديد من المنظمات والهيئات الدولية، وهي تمثل الشعوب والمنظمات الإسلامية في العالم. وقد جاء في النظام الأساس للتعريف بالرابطة أنّ من أهداف إنشاء هذه المؤسسة العالمية ما يلي:

- التعريف بالإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً، وتوعية المسلمين بحقيقته وفق الكتاب والسنة، وكشف ما لحق بالإسلام من تشويه وخراب وابتعاد عن قيمه السمحة.
- العمل على تحقيق رسالة الإسلام في نشر السلام والعدل، وإقامة مجتمع إسلامي على أساس القيم السمحة للإسلام.

تستشعر رابطة العالم الإسلامي مسؤوليتها تجاه هذا الدين وأتباعه، وتسعى دوماً إلى بيان رسالة الإسلام العالمية، وشرح مبادئه النبيلة وتعاليمه السمحة التي تهدف إلى تحقيق السلم والأمان في المجتمعات الإنسانية: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ» (الأنعام: ٨٢). كما تعمل الرابطة جاهدة-وبمختلف الوسائل والآليات- على إعطاء الصورة الناصعة عن الإسلام ووسطيته واعتداله. ودحض الشبهات والافتراءات التي تلصق به، والذبّ عن حياض هذا الدين الحنيف، والتصدي لتيارات الغلو والتطرف والإرهاب. رابطة العالم الإسلامي منظمة إسلامية شعبية عالمية، لها مكانتها البارزة وصفتها الرسمية بين المنظمات العالمية والهيئات الإسلامية الدولية.

الوسطية والتسامح والاعتدال، ونُبذ الغلو والانحراف والتطرف، والتعاون المثمر والبناء في معالجة مظاهر التطرف الذي يتولد عنه الإرهاب، حماية لحرمة الإنسان، وحفاظاً على حقوقه. وصوناً لمجتمعه.

كما استنفرت الرابطة جهود العلماء والدعاة والمعينين بالشأن الإسلامي وحقوق الإنسان حول العالم للتصدي لخطر هذه الظاهرة ووأدها قبل أن يستفحل شرّها.

وما يؤكد هذا، أن العديد من المنظمات الدولية اعترفت بحقيقة موقف الرابطة من أنواع العنف والتطرف والغلو والإرهاب، حيث ترفض كل ما يمت إلى ذلك بصلة. كما اعترف المنصفون في العالم بأن الرابطة من أوائل المنظمات الدولية التي بذلت جهوداً كبيرة ومشهودة في محاربة الإرهاب. وأنها تنسّق في ذلك مع العديد من المنظمات الدولية، وتضع في أولوية أعمالها نشر الثقافة الإسلامية الوسطية، مع رغبتها الأكيدة في التعاون العملي مع المنظمات الإسلامية والدولية لتنفيذ البرامج المشتركة في محاربة كل فكر أو اتجاه متطرف يؤمن بالعنف. ويتخذة وسيلة لتنفيذ أغراضه.

ولإلقاء الضوء على جهود الرابطة في مواجهة التطرف الفكري بما عسى أن يسهم في دعم هذه المسيرة. ويساعد على تكثيف الجهود الإقليمية والدولية والتنسيق فيما بينها. والوصول إلى نشاط مشترك مأمول. أعرض بإيجاز أبرز الجهود التي بذلتها وتبذلها هذه المؤسسة العالمية لمعالجة الفكر المتطرف. من خلال أمانتها العامة وإداراتها ومكاتبها والمراكز التابعة لها وهيئاتها المستقلة. ومناشطها ومشاركاتها المختلفة أثناء مسيرتها الحافلة التي دامت أكثر من نصف قرن.

إنّ تجربة الرابطة وجهودها في معالجة التطرف الفكري جهد عالمي مشهود. وهو متنوع ومختلف باختلاف مناسبات الرابطة وهيئاتها ووسائلها في نشر أهدافها ورسالتها السامية.

ويمكن عرض هذه الجهود من خلال المحاور التالية:

المحور الأول: البيانات الرسمية الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي المبينة لموقفها من الفكر المتطرف وأنباعه.

المحور الثاني: عقد المؤتمرات والندوات والملتقيات في مختلف دول العالم للتحذير من خطر الفكر المتطرف على الإنسانية. وبيان براءة الإسلام منه.

المحور الثالث: المطبوعات العلمية والإصدارات الثقافية المختلفة للرابطة والتي تتضمن كتباً وأبحاثاً ومقالات متنوعة حول الفكر المتطرف ووسائل معالجته، وطرق تحصين الشباب منه.

المحور الرابع: الاتفاقيات المبرمة بين الرابطة وبعض المؤسسات العلمية والجهات الإسلامية والمتضمنة لبنود حول محاصرة الفكر المتطرف والتقليل من آثاره.



• دحض الافتراءات ضد الإسلام، ومكافحة التشويه لصورته، والتضليل الموجه ضد دعوة الحق.

• بذل الجهود في علاج المشكلات التي يواجهها العالم الإسلامي، وتقديم العون للمسلمين في حل مشكلاتهم.

• السعي للإصلاح في الأرض ودفع الإفساد عنها.

إنّ عمل رابطة العالم الإسلامي في بيان براءة الإسلام من التطرف، أصيل في منهجها، ثابت في أهدافها، متنوع في وسائلها وآلياتها، وليس ناجماً عن ردود الأفعال حيال ما جرى ويجري من أحداث فقط على الساحة العالمية.

يؤكد هذا أنّ الرابطة قد أكدت في معظم تصريحاتها وبياناتها الرسمية واجتماعاتها الدولية والإقليمية أنّ التطرف في الفكر أو في فهم الدين، وما يتبع ذلك من انغلاق وإرهاب. لا صلة له بدين الإسلام.

كما بيّنت أنها تُدين جميع أشكال الانحرافات، ومنها النزوع إلى التطرف والغلو في فهم الإسلام وتعاليمه.

كما دعت الرابطة إلى تقديم الموقف الصحيح للإسلام، والرد على الشبهات والأغلووات التي يثيرها المتطرفون والتي تسببت في إشكالات عديدة أثرت على العلاقات بين العالم الإسلامي والعالم الآخر.

وقد تزايد اهتمام الرابطة في السنوات الأخيرة -على نحو فعال ومتميز- ببحث ظاهرة التطرف الفكري وأسبابها وكيفية معالجتها، وذلك تبعاً لمقتضى الظروف الجديدة، فأكدت على موقفها الرافض لأشكال العنف والتطرف بأنواعه المختلفة، وذلك من خلال مجالسها ومؤتمراتها وندواتها وبياناتها، ومن خلال تنسيق جهودها مع الحكومات والمؤسسات في مختلف أنحاء العالم، كما كثفت الرابطة جهودها في الدعوة إلى تعزيز قيم

المحور الخامس: سلسلة الزيارات واللقاءات لوفود الرابطة.
وفيما يلي تفصيل لهذه المحاور:

المحور الأول: البيانات الرسمية الصادرة

عن رابطة العالم الإسلامي

تتابع رابطة العالم الإسلامي -كغيرها من المنظمات والهيئات الدولية- باهتمام ما يجري حول العالم من أحداث ومتغيرات. ولعل من أبرز الأحداث الطارئة على الساحة الدولية حالياً، قضية التطرف الفكري . وما ينتج عنه من أعمال إرهابية تبتت الرعب والخوف والكراهية في القلوب والنفوس. وتجعل الإنسان يقف موقف الشك والريبة من الدين الإسلامي الحنيف. مع أنّ الإسلام بريء تماماً مما ينسب إليه من إرهاب وعنف وتطرف.

وقد أصدرت الرابطة - عبر أمانتها العامة وعدد من هيئاتها - المئات من البيانات التي تدين فيها التطرف الفكري وتنبذ وتستنكره. وتندد بشدة بالوقائع الإجرامية والإرهابية للفئات المنحرفة والمتأثرة بالفكر المتطرف. ودعت العالم إلى محاصرة هذا الفكر الشاذ والتضييق عليه. والعمل على ما يحقق الأمن والاستقرار والرخاء بين الدول والشعوب. كما سعت بما بذلته من جهود في مجالات التوعية والتوجيه والتعليم إلى التعاون مع المؤسسات المختلفة إلى اجتناب جذور الأفكار المتطرفة وتخليص العالم من ويلاتها وشرورها.

كما عيّرت الرابطة في مختلف المناسبات - وعبر موقعها الإلكتروني- عن موقفها الراض لأشكال العنف والتطرف. وأنّ موقفها ثابت في محاربة الأفكار المنحرفة والشاذة والتحذير منها. وأنها تعتبر ظاهرة التطرف الفكري آفة دخيلة على الأمة المسلمة. غريبة عن منهاجها الديني والاجتماعي والثقافي وتدعو العالم إلى مواجهتها بحزم وحكمة وحنكة. وبطريقة تعاونية تنسّق فيها الجهود الرسمية والشعبية وتسهم في التوعية بها وسائل الإعلام والتنقيف المختلفة.

وبيّنت الرابطة أنّ أصحاب الفكر المتطرف يسعون بكل قواهم في نشر أفكارهم الشاذة. وإشاعتها بين الأفراد والشعوب لتحقيق أهدافهم الدنيئة في تأزيم العلاقات بين الأمم والدول عن طريق إشاعة الكراهية والبغضاء بينهم. ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره. وأنّ الإسلام بتعاليمه قادر على علاج هذه الآفة وتطهير المجتمع الإسلامي من أدرانها. وخصيصه من أخطارها. موضحة أن الإسلام حرّم العنف والقتل والإرهاب. ونبذ التطرف والغلو. وشنّع على المتطرفين والمغالين. وحاصر فكرهم. ودحّض دعاواهم. رحمة بالمجتمعات من شرورهم وأفكارهم. داعية إلى العناية بتحصين الشباب المسلم ضد مزالق الغلو والتطرف. والعمل على نشر الوعي الإسلامي الصحيح الذي يبصر العقول بالمفاهيم السليمة للإسلام.

وقد واكبت تلك البيانات ما جرى ويجري من عنف وإرهاب في مختلف أنحاء العالم كان مبعثه التطرف الفكري. وعلى رأس

ذلك ما جرى في المملكة العربية السعودية والكويت وفلسطين والبحرين والهند وباكستان ومصر وتركيا وإندونيسيا ونيجيريا والولايات المتحدة وإسبانيا وميانمار وإيطاليا والمملكة المتحدة وروسيا وفرنسا وبلجيكا وألمانيا والعراق وسوريا واليمن وغيرها. وفيما يلي عرض لنماذج من محتوى بعض تلك البيانات:

بيانات حول تفجيرات إرهابية في عدد

من المساجد والأماكن:

فقد جاء فيها: إنّ موقف الإسلام واضح من الأعمال الإجرامية من قبل الفئات المنحرفة في فكرها انحرافاً خطيراً. لكونها تسعى إلى زعزعة الأمن والاستقرار في المجتمعات المسلمة باسم الإسلام والشعارات الخادعة، وتحذر الرابطة في الوقت نفسه من الانتساب إليها ودعمها بأي شكل من الأشكال.

وأنّ الرابطة قامت بجهود كبيرة في محاربة الإرهاب والفكر المتطرف من خلال مؤتمراتها وندواتها التي عقدتها للتحذير منه. وخطورة تناميها في المجتمعات الإسلامية ، ودعت فيها إلى نشر العلم الشرعي الصحيح المستمد من نصوص القرآن والسنة وفق فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين. وتعزيز نهج الوسطية والاعتدال.

وأنّ ما تتخذه الرابطة من مواقف في الحوادث الإرهابية تستند فيه إلى محاربة الإسلام للعنف والإرهاب والتطرف الذي تبناه بعض الفئات المنحرفة في فكرها وسلوكها عن نهجه القويم وصراطه المستقيم.

وتدعو الرابطة الأقليات المسلمة إلى التعاون مع أبناء مجتمعها والعمل على ما يحقق الأمن والاستقرار فيها. ويحاصر الإرهاب والتطرف وجماعته.

بيانات حول الاعتداءات على الأمنيين ورجال الأمن:

جاء فيها: أنّ الرابطة من خلال أمانتها العامة ومجمعها الفقهي وهيئاتها المستقلة أوضحت في مؤتمراتها المختلفة موقف الإسلام من الفئة المنحرفة في فكرها انحرافاً خطيراً . لكونها تسعى إلى تقويض الأمن والاستقرار في المجتمعات المسلمة باسم الإسلام والجهاد والشعارات الخادعة لبادئ الرأى. وحذرت من الانتساب إليها ودعمها بأي شكل من الأشكال، وحرصت الرابطة على تحصيل الشباب بنشر الوعي الإسلامي الصحيح الذي يبصر العقول بالمفاهيم السليمة للإسلام، ويرشد السلوك نحو فعل الخير واجتناب الشر. ويعزز في النفوس حرمة الدماء والأموال والأعراض . ويحمي من الانزلاق في مهاوي الضلال والانحراف والإجرام.

بيانات في بعض المناسبات الإسلامية مثل

الحج والهجرة النبوية:

جاء في بيان للرابطة: أنّ الرابطة تؤكد على أنّ دين الإسلام يحض

على التوسط والاعتدال في جميع أمور الحياة. كما أنه ينهى عن الغلو والإفراط وأنواع التطرف، وينهى كذلك عن التفریط والنهوان. وأن على المسلمين انتهاج المنهج الوسط الذي اختاره الله تعالى لهذه الأمة «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» (البقرة: ١٤٣). وأنه لا بد من تأصيل هذا المفهوم في نفوس شباب الأمة المسلمة عبر مناهج التعليم ووسائل الإعلام والتثقيف وخطب المساجد وجهود الدعاة وبرامج المؤسسات الإسلامية بأسلوب حسن وحكيم عملاً بقوله تعالى «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» (النحل: ١٢٥).

بيانات حول الإشادة ببعض جهود المراكز الدولية:

جاء في بيان للرابطة: أن التدين الحقيقي لا يعرف التطرف، ولا يعرف الغلو والتشدد. وأن الرابطة كانت ولا تزال حذراً من قضيتين مترابطتين خطيرتين على واقع العالم الإسلامي ومستقبله وعلى العالم أجمع، وهما قضية الإرهاب والتكفير، وأن الرابطة قد دأبت في مناسباتها المختلفة من مؤتمرات وندوات وغيرها على التأكيد على حرمة وجرم هاتين الآفتين (الإرهاب والتكفير). وهي تسعى بما تبذله من جهود التوعية والتوجيه إلى التعاون على اجتثاثهما ومكافحتهما بشتى الوسائل.

وجاء في بيان للهيئة العالمية للعلماء المسلمين من المشاعر المقدسة: أن الهيئة تؤكد على أن الواجب على علماء الأمة التبيين للناس عموماً والشباب خصوصاً بأن الإسلام الصحيح هو الإسلام الوسط القائم على الكتاب والسنة وفقه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سار على نهجهم. كما تؤكد الهيئة العمل على إبراز الصورة الحقيقية لهذا الدين بسماحته ووسطيته حذيراً للشباب المسلم من الانخراط في تيارات الغلو والتشدد.

وجاء في بيان للرابطة حول التحذير من التحديات الخطيرة التي تواجه الأمة: أن الرابطة حذرت من خطر الانحراف الفكري الذي يهدد أمن الأمة ويدعم الشبهات التي تسعى بعض الدوائر والحلقات المشبوهة في العالم بكل جهودها ودعواتها إلى إلحاقها بالإسلام وتشويه صورته اعتماداً على وسائل إعلام غير موضوعية أو معادية تسير في فلكها.

وأن الرابطة مستمرة في مواجهة الفكر المنحرف الذي يؤدي بأصحابه إلى الجنوح والضلال والتطرف والإرهاب. وذلك من خلال مؤتمراتها ودورات مجالسها. وحذرت الشباب من تصديق مقولات الإرهابيين وشعاراتهم الكاذبة ودعواتهم الباطلة التي تهدف إلى الإفساد في الأرض.

وأن مؤتمرات الرابطة ودورات مجالسها تصدّت للفكر المنحرف وبيّنت حكم الإسلام في الغلو والتطرف.

وفي بيان آخر حول علاج الفكر الشاذ للفئة الضالة ومحاربة

ثقافة الإرهاب. جاء فيه: واستشعاراً من الرابطة بخطورة الانحراف الفكري، وضرورة تضافر وسائل الإعلام في التصدي لأفكار المنحرفين، ومفاهيمهم الخاطئة، ومنطلقاتهم الشاذة. واعتقاداً منها بأن التصدي لثقافة الغلو والانحراف من المسؤوليات الجماعية، فإنها تؤكد أن الشذوذ الفكري الذي يؤدي إلى الخروج عن الجماعة. وعصيان ولي الأمر، وتكفير المسلمين. وإراقة الدماء، والإضرار بالمنشآت العامة والخاصة، يحتاج إلى مواجهة جماعية تشارك فيها مؤسسات الإعلام، إلى جانب العلماء ومؤسّسات الدعوة الإسلامية.

وأن الخلل في فهم بعض النصوص الشرعية ومقاصدها، مثل النصوص الواردة في الجهاد والولاء والبراء، والأخذ بالفتاوى الشاذة المضللة من أهم أسباب ظهور فئات غالية في الدين، عمدت إلى تفريق الأمة في دينها. فوقعوا فيما حذر الله منه: «إن الذين فرّقوا دينهم وكان شيعاً لسئت منهم في شيء» (الأنعام: ١٥٩).

وأن الرابطة تؤكد على وحدة المسلمين واجتماعهم على منهاج الإسلام الصحيح المعتدل والوسطي. وهي الضمانة الوحيدة لحماية أمتنا وتماسكها ودرء المخاطر المحيطة بها.

بيانات حول بعض الأحداث الإرهابية جاء فيها:

تؤكد الرابطة على الأهمية البالغة للتوجيه الإسلامي الصحيح في معاهد التعليم ومدارسه، وتدعو إلى بذل المزيد من الجهود في تيسير التعليم وفق المنهاج الوسطي، وتهيب الرابطة بمؤسّسات الإعلام والثقافة في المجتمعات الإسلامية أن تتعاون في معالجة أنواع الغلو والتطرف، وتدعوها إلى التعاون مع العلماء الثقات في معالجة هذه الآفة الخطيرة.

وأن رابطة العالم الإسلامي تسعى لوضع صيغة للتنسيق بين المنظمات الإسلامية والجامعات ومؤسّسات الإعلام لمعالجة الفكر المنحرف، ومحاورة المتأثرين به، مؤكدة أن تصحيح الانحراف الفكري الشاذ في الساحة الإسلامية وعلاجه، ينبغي أن يكون من أهم الأعمال في المجتمع المسلم.

كما تؤكد الرابطة على ضرورة التعاون بين الحكومات والمنظمات الإسلامية والعلماء والدعاة والإعلاميين لاجتثاث آفة الإرهاب، بدءاً بمعالجة مفهومات الغلو في الدين، وتصحيح الأخطاء التي تنقلها الأجيال وتسمعها من عصابات الإرهاب الضالة.

وأن على العلماء والمدارس ووسائل الإعلام في العالم الإسلامي القيام بالواجب الشرعي في تفتيحه الأجيال الفقه الصحيح، وحذيرهم من خطورة الانحراف الفكري، وتصديق ضلالات وعصابات الإرهاب التي تؤثر على العقيدة الصحيحة.

وأن الرابطة على استعداد تام للتعاون مع المؤسسات الحكومية الرسمية والمنظمات الشعبية في العالم الإسلامي لتنفيذ برامج مشتركة هدفها تحصين شباب الأمة من المفاهيم المغلوطة.

رئيس مجلس علماء باكستان في حوار مطول مع الرابطة ويطالب بـ: تشكيل اتحاد أممي بين المسلمين سياسيا وعسكريا واقتصاديا لمجابهة التحديات



طالب مجلس علماء باكستان بتشكيل اتحاد أممي بين المسلمين سياسيا، وعسكريا، واقتصاديا لمجابهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، جاء ذلك في حوار مع رئيس مجلس علماء باكستان السيد / زاهد محمود القاسمي. والذي أوضح أن المجلس يرى ضرورة التعاون مع البلدان العربية على وجه العموم والمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص، لأنه يرى في المملكة الصديق الخالص والوفي الذي وقف مع باكستان قلبا وقالبا متى ما دعت الحاجة، ويضيف كلامي هذا ليس إنشائيا إنما المواقف السعودية أثبتت ذلك، ونحن في باكستان نبادل هذا الود بالود والنقاء بالنقاء

حوار / عبدالله الطياري

في البدء حبذا لو أعطيتنا فكرة شاملة عن مجلس علماء المسلمين بباكستان؟
شكرا لكم، دعني أقوم أولا بتصحيح الاسم فهو مجلس علماء باكستان، والهدف من إنشَاء المجلس كان المشاركة بفاعلية في تثقيف المجتمع الباكستاني دينيا وسياسيا من خلال منابر المساجد. وكذلك لعب دور إيجابي فيما يخص مصالح الأمة الإسلامية وأمورها في العالم الإسلامي. بالإضافة إلى نشر رسالة التسامح والاعتدال ونبذ التطرف والعنصرية والإرهاب بجميع أشكاله، كما أن المجلس يسعى ويرفع صوته في لم يشمل

وأضاف زاهد محمود القاسمي قائلا إن مجلس علماء باكستان يذم ويدين ويستنكر ويشجب بشدة ما تفعله إيران من سياسات معادية للمنطقة أضرمت النار الفكرية والحربية، ويقف مع العالم العربي والسعودية في صد أي عدوان فكري إيراني على باكستان كان أم على أي بلد إسلامي. وأكد القاسمي أن الرابطة في حلتها الجديدة اتخذت خطوات موفقة في سبيل لم تشمل الأمة الإسلامية. وقد رأينا تحركات معالي الأمين العام في ساحة البلدان الإسلامية. وأظن في قرارة نفسي أن هذه ولادة جديدة لرابطة العالم الإسلامي.



بمستوى تفكيرهم. وإشغالهم فكريا بما ينتج عنه من إبداع فكري ومعلوماتي وبحثي. أرى استحداث برامج في شتى المجالات الدينية والدينية والعلوم والفنون بحيث تكون داخل الدائرة الشرعية لكنها جاذبة للشباب. وتصنع منهم قادة، وحرفيين، وعلماء، وباحثين ومخترعين.

أصدر مجلس علماء باكستان بياناً طالب فيه كل من مجلس الأمن الدولي والمنظمة الدولية للأمم المتحدة باعتبار جماعة الحوثيين المقاتلة في اليمن جماعة إرهابية محظور التعامل معها، إلى أين وصلت هذه الدعوة؟

قمنا من قبل بهذه المطالبة، وسنرفع صوتنا ولا نزال في اجتماعات. ونثق الشعب الباكستاني، ونوصل إليهم الحقائق. وسنظل نتحدث في الإعلام الباكستاني أيضاً... وعلى كل الأصعدة بإذن الله.

الاختلاف الديني والثقافي والفكري وأخطاء التشخيص سبب للأحقاد والكراهية، وتعد المغذي الرئيس للتطرف والإرهاب، وكما وصفها الأمين العام للرابطة بكلمته بالبرلمان الأوروبي إنها من الخطأ الفادح، كيف يمكن لنا العمل على ردم هوة هذا التباعد والاختلاف؟

أعتقد أنه يجب علينا مخاطبة الآخرين ضمن قواعد وآداب الحديث من خلال تقديم أدلة عقلية ومنطقية دون التحريض والتسفيه والتقليل من شأن الآخرين. وكذلك على الطرف الآخر مراعاة القواعد والضوابط حين يتحدثون عنا كمسلمين أو الإسلام على وجه العموم. ربما هذه هي الطريقة المثلى لتجنب الاحتكاك، كما أنه يجب على النخبة أن يقوموا بطرح أفكار وطرق معتدلة بين الشباب لاتخاذها قدوة وتوجيههم التوجيه الصحيح، وتغذية عقولهم بأفكار وسطية من خلال الندوات والمؤتمرات واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي والطرق المعاصرة في إيصال المعلومة.

الأمّة، ويؤمن بأنه بات من الضرورة أن يكون هناك اتحاد أمي بين المسلمين سياسياً، وعسكرياً، واقتصادياً من أجل الوقوف صفاً واحداً ومجابهة التحديات معاً. ويرى المجلس ضرورة التعاون مع البلدان العربية على وجه العموم والمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص، لأنه يرى في المملكة الصديق المخلص والوفاي الذي وقف مع باكستان قلباً وقالبا متى ما دعت الحاجة، وكلامي هذا ليس إنشائياً إنما المواقف السعودية أثبتت ذلك، ونحن في باكستان نبادل هذا الود بالود والنقاء بالنقاء، وموقفنا مع السعودية وأي بلد إسلامي يتلخص في قوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان).

كيف ينظر مجلس علماء المسلمين بباكستان إلى ما تقوم به إيران من دعم الطائفية وزرع الفتنة؟

لا يعجبنا أبداً ما تفعله إيران من تدخل سواء في باكستان أو في الدول العربية، لأن ذلك كما نرى نتج عنه تطرف، وإرهاب، ونحن في مجلس علماء باكستان ندم وندين ونستنكر ونشجب بشدة ما تفعله إيران من سياسات معادية للمنطقة التي أضرمت النار الفكرية والحربية، ونقف مع العالم العربي والسعودية في صد أي عدوان فكري إيراني على باكستان كان أم على أي بلد إسلامي، فما تفعله إيران إنما هو إضرار النار والتي لا تترك أحداً وتأكل الأخضر واليابس، وبل وقد حرق مشعلها.

ما هي الأسس التي ينبغي العمل عليها لنشر المنهج المعتدل ومحاربة الأفكار المتطرفة داخل بعض المجتمعات الإسلامية وخاصة فئة الشباب باعتبارهم عماد المستقبل وحاملي لواء الدعوة وراية الإسلام مستقبلاً؟

من المناسب التخطيط بدقة ومهنية في توجيه الشباب: لأننا نعيش في عصر الانفتاح، وعصر الثورة المعلوماتية، والأساليب القديمة في توجيه الشباب باتت غير فاعلة، إنما يجب توجيههم

نلم شملنا ونصطف في صف واحد لكي يكون القول مؤثرا يتجاوب معه الجميع. وأجد أن مخاطبة الناس بلغاتهم وتقديم تاريخنا بشكل واقعي. واتخاذ خطوات جادة تجاه ما نريده والعمل بشكل جدي ومسلسل. سيضمن نتائج إيجابية. ويجب علينا استخدام الوسائل والأدوات الحديثة في إيصال الرسالة المطلوبة.

ما هي العراقيل التي تقف أمام تقارب العالم الإسلامي مع العالم الغربي، مما جعلنا نرى الكثير من الأصوات اليمينية تبرز بالساحة الأوروبية وهي أصوات فاعلة أصبحت اليوم بالمشهد الأوروبي؟

التسويق الإيجابي لم نعلم به. لم نعلم بمخاطبة الفرد في العالم الغربي. إنما انحصر التفاعل مع العالم الغربي بين النخب. مخاطبة العالم الغربي وأفراده بل والعالم الإسلامي مهم جدا لتجاوز العقبات التي تواجهنا. اتخاذ الأساليب التي تتخذها القوى الغربية لاخترق مجتمعاتنا من الضروري أن نفعل مثلها حتى نستطيع الوصول إلى المتبقي.

ما زال صوت المسلم بالحياة العامة في البلاد غير الاسلامية صوتا غير فاعل، ما هي الأسباب من وجهة نظركم، وما هي الآليات التي ترونها ناجعة في تفعيل مثل هذا الصوت؟

ربما لعدم وجود منصات توجيحية. لعدم وجود برامج تأهيلية كافية. لعدم إشراك الأفراد بشكل مكثف في البرامج. كما أن الجو العام السياسي والاقتصادي لكل دولة مؤثر على الأفراد. الآلية الفاعلة هي زرع الثقة في الشباب وتوجيههم ودعمهم فيما يتقنون لكي يخدموا الأمة الإسلامية بشكل عام.

أقر البرلمان الكندي أخيرا مشروع قانون يمهّد الطريق أمام إجراءات مستقبلية من أجل محاربة ظاهرة الخوف من الإسلام أو معاداة الإسلام ويدعو المشروع الحكومة الكندية إلى "إدراك الحاجة للقضاء على المناخ العام المتزايد من الكراهية والخوف" و"إدانة الإسلاموفوبيا وكل أشكال العنصرية والتفرقة الدينية المنهجية". كيف ترون هذا القرار؟

أتمنى أن تنتهج الدول الغربية نهج هذا القرار. لأنه لا داعي للخوف من الدين الإسلامي ولا الفرد المسلم. والذين يفعلون من المسلمين من أمور خارجة عن الشرع والعرف لا يمثلون الإسلام ولا المسلمين. بل ربما تم زرعهم في المسلمين. ويجب أن نثبت ذلك للعالم. ولن يحصل هذا إلا إذا نجحنا في جمع جميع العلماء والساسة في البلدان الإسلامية تحت مظلة واحدة وبعث رسائل واضحة وصريحة للعالم الغربي. وأعتقد جازما أن رابطة العالم الإسلامي قادرة على أن تقوم بهذا الأمر. فمن مكة انطلق محمد صلى الله عليه وسلم ومن مكة يجب أن ينطلق النور مجددا ليعم العالم...

أشار الدكتور العيسى في ختام أعمال مؤتمر الإسلام في أوروبا والإسلاموفوبيا المنعقد داخل برلمان الاتحاد الأوروبي إلى أن للتطرف في عموم الأديان وقائع تاريخية مؤلدة خضرت وتغيبت في مد وجزر من زمن لآخر. مشددا على أن التطرف الديني لم يحقق طيلة تاريخه سوى الظاهرة الصوتية. حيث لاقى في نهاية مطافه قدره المحتوم بالقضاء عليه.

حديث نتفق معه. حركات الأمين العام للرابطة أحدثت ولادة جديدة

حرص المملكة العربية السعودية على أن تقدم نموذجا يحتذى لحماية الحقوق والحريات المنشروعة. وتحقيق الرفاه والتنمية الشاملة للمجتمع. بما يتوافق مع القيم الإسلامية. ويحافظ على الأمن المجتمعي والتآلف بين أفراده. ويعزز التمسك بدينه. والثقة والوئام بين المواطن والمسؤول. كيف تنظرون لذلك من خلال المنهج الجديد للرابطة؟

بصراحة متناهية أقول إن الرابطة في حلتها الجديدة اتخذت خطوات موفقة في سبيل لم تشمل الأمة الإسلامية. وقد رأينا حركات معالي الأمين العام في ساحة البلدان الإسلامية. وأظن في قرارة نفسي أن هذه ولادة جديدة لرابطة العالم الإسلامي. وندعو لها بالتوفيق والسداد. ونقف معها قلبا وقالبا في أداء رسالتها السامية.

في الآونة الأخيرة شهدنا العديد من السجلات والتجاذبات والغط حول حرية التعبير. خاصة في الفضاء الفكري المفتوح بلا ضوابط. ونحن إذ نؤمن بسعة الشريعة الإسلامية وحفظها للحقوق والحريات (المنشروعة) إلا أنه يتحتم علينا الالتزام بهديها الحكيم في مواجهة المحاذير الخطيرة التي يعج بها هذا الفضاء. كيف يمكن لنا من خلال رؤياكم خلق ضوابط بهذا الفضاء الفكري لحرية التعبير؟

حرية التعبير مصطلح فضفاض أسى استخدامه كثيرا للنيل من رموز المسلمين. لذا أجد أنه من المناسب البحث في آلية حرية التعبير مع المؤسسات المعنية والمؤثرة على المجتمعات على مستوى عالمي وكيف يتفق العالم على حدود حرية التعبير. ترك الحبل على الغارب لن يحل مشكلة.

الله أراد لجميع الحضارات الإنسانية أن تتعارف وتتقارب. وتتعاون لكسب حواجز البرمجة السلبية التي نشأ عليها البعض من أتباع هذه الحضارات. بسبب نظرة فردية تستطيع من زاوية واحدة. وتلقى معلوماتها من مصدر واحد. بعيدا عن منطق الإنصاف والوعي.. مشيرا إلى أن أي صدام حضاري ينتهي بخسائر فادحة على الجميع. كيف يمكن لنا تحقيق مفهوم التقارب والتعاون لكسر مثل هذه الحواجز؟

لكي تكون رسالتنا قوية وتصل إلى العالم وتؤثر فيه. يجب أن



مستخلص من بحث مقدم لمؤتمر المجمع الفقهي الإسلامي أسباب الانحراف الفكري وعلاجه

د. بدر الحسني القاسمي

أعدده للنشر: د. محمد تاج العروسي

إلى ذلك قائلا: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين». كما لاحظ بوادر الفتنة في كلام ذو الخويصرة التميمي، فقال: سيخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية. ثم ظهرت بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة فتنة الارتداد عن الإسلام من مانعي الزكاة والتي كادت أن تعم قبائل العرب كافة لولا الموقف الحازم من الخليفة الراشد أبي بكر

تقدم الدكتور بدر القاسمي ببحث (أسباب الانحراف الفكري وعلاجه) للمؤتمر الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بعنوان (الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة). وفيما يلي ملخص للبحث:
إن الانحراف الفكري ظاهرة متشعبة، قديمة ومتجددة مع تطور أساليب الحياة وتنوع الأفكار السائدة في العالم وتعدد فلسفات الشعوب وأيديولوجياتها.
وقد بدأت تظهر بوادر الفتنة في عصر الرسول ﷺ فأشار

أسباب الانحراف الفكري:

انتشرت الانحرافات الفكرية في عصر الخلافة الأموية ثم العباسية مع دخول أعداد هائلة من الفرس وشعوب العجم عموماً في الإسلام. حيث خلطوا بين العقيدة الإسلامية ومعتقداتهم السابقة. فمنهم من كان يعبد النار فظل يقدس النار. ومنهم من كان يرى أن للشجر إلهاً وللخبر إلهاً آخر فنسبوا خلق أفعال العباد إلى العباد تحت عنوان: تنزيه الرب سبحانه من نسبة الشر إليه.

ومن أسبابها ظهور «بعض ضعفاء الإيمان» في صفوف الأدباء والشعراء. حيث أسأؤوا القول إلى شعائر الإسلام وسخروا من بعض أحكام الشريعة ولم يتأدبوا مع القرآن الكريم. ويذكر من بينهم بشار بن برد. وعبد الله بن المقفع. وحماد عجرد وأبو نواس وصالح بن عبد القدوس وأبان اللاحقي وابن الراوندي وأبو علي رجا، وقد ذكر بعض المستشرقين أسماء هؤلاء بإجلال وتفخيم من أجل ترويح أكارهم في المجتمعات الإسلامية. ويمكن الاطلاع على نشاط الملحدين من خلال كتاب «تاريخ الإلحاد في الإسلام» للدكتور عبد الرحمن بدوي. ومن أسبابها أيضاً اغترار بعض المثقفين بمقدرة العقل الإنساني على حل القضايا الكونية كافة والتوهم بأنه لا داعي إلى الإيمان بالوحي والنبوة أو الأمور الغيبية اكتفاء بما لديهم من العقل واستناداً بآراء بعض الفلاسفة الغربيين الملحدين.

وللفيلسوف الألماني عما نوبل كانت (Emanuel kant) كتاب معروف باسم «نقد العقل الخصب» (Criteria of Reason) الذي نشر أول مرة في عام 1781م. يقول كانت (Kant): «إن الفكر يبدأ مهمته بالدعوى ويعتمد على صحة مقدماته. ومفروضاته. وطاقاته. ويكون على ثقة بأنه حل جميع المسائل ووصل إلى كنه الكون». ثم يأتي عليه زمان يتجلى فيه أن هذه الأبنية العقلية والفكرية لا تنطج السحاب. ولا تسمو إلى الأفلاك. ثم تبدأ فترة الارتباك والتشكيك. لذا يجب علينا البحث في عقولنا وإدراكنا. وماهية علمنا ونوعيته حتى نكشف عن نوع الصور والقوى التي نتمتع بها لفهم الأشياء وإدراكها وإلى أي مدى نستطيع أن نسير في ضوئها. تاريخ الفلسفة الحديثة 30/2 - 31

وقبله انتقد العقلانيين الإمام المجدد أحمد السرهندي المتوفى 1034هـ حيث قال: إن العقل... لا تزول علاقته بالبدن أو الجسم العنصري بتاتا ولا يجد إلى التجرد الكامل والتحرر المطلق سبيلاً فالقوة الوهمية تمسك بزمامه. والقوة الخيلة تأخذ بلجامه. وقوة الغضب والشهوة كالظل المرافق له. وخصال الحرص والطمع الذميمة شعاره ودثاره. والسهو والنسيان هما من لوازم الإنسان لا يبرحانه.

الصديق رضي الله عنه وتصميمه لحوض القتال ضدهم فوقف قائلاً: أينقص الدين وأنا حي؟ وخطب عمر رضي الله عنه قائلاً: أجباً في الجاهلية وخوّاً في الإسلام؟ وقت ما تردد في قتال مانعي الزكاة ظنا منه أنهم مسلمون فشرح الله صدره لتأييد أبي بكر رضي الله عنه. واستطاع الصديق رضي الله عنه بتوفيق من الله سبحانه وعزمته القضاء على الفتنة العارمة والمحافظة على كيان الأمة وسياج الدين المتين.

ومن «الانحراف الفكري» الذي تفاقم أمره بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم مسألة عدم الإيمان بالقدر. واشتهر معبد الجهني بأنه هو أول من خاض في هذه المسألة وقال بالقدر ثم أخذ منه غيلان الدمثقي.

وقد ظهر في العصور الأولى كثير من الفتن كما بدأت ظاهرة الإلحاد في الدين والتشكيك في مسلمات الشرع المبين. فإلى جانب الكفار والمشركين والمنافقين ظهر اصطلاح «الزندقة» في التعبير عن بعض فئات من الملحدة. فما هو «الزنديق»؟ وما هو الإلحاد؟ وما هي مظاهره في هذا العصر؟

فالزنديق. قيل: إنه المنافق الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر. سواء كان ما يبطنه ديناً آخر غير الإسلام أو جحوداً للصانع. أو المعاد أو الأعمال الصالحة.

أما الإلحاد في الدين فيكون بالطعن فيه أو الخروج عنه. كذلك الإلحاد بما يستحقه المسجد الحرام بارتكاب المحرمات فيه أو منع عمارته أو الصد عنه. ومن صورته قول من يقول: من الجيد أن يحرم الإسلام السرقة ولكن من الوحشية - العياد بالله - أن تكون العقوبة قطع يد السارق مهما وضعت من قيود وشروط لإقامة هذا الحد. وقد آن الأوان أن تستبدل بعقوبة حضارية كالسجن والغرامة.

- كذلك قول من يقول: كان حريم الزنا مفهوماً لما فيه من تسبب في اختلاط الأنساب أما وقد وجدت طرق متطورة لمنع الحمل ولفحص الـ (D.N.A) ومعرفة الأب الحقيقي فلا ينبغي أن يبقى الزنا ممنوعاً. نعم يمنع إذا اقترن بالاعتصاب. وذلك لأن الحرية مضمونة فإذا انتفى الاعتصاب وأمكن التحكم بالحمل فمن التخلف حريم العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج.

- وهناك من يقول: بدأ محمد ﷺ دعوته وفيها المساواة بين الرجل والمرأة. ثم إنه تحت ضغط المجتمع الذكوري أو القيم الذكورية السائدة بدأ يشترع التشريعات التي جعل للذكر مثل حظ الأنثيين وجعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل أو شهادة المرأتين كشهادة رجل واحد. وأمثال هذه الأقوال كثيرة تصدر عن من يدعي أنه مسلم فلا شك أن حكم الشريعة في مثل هذه الأقوال إنها تخرجه عن الملة؟

والخطأ والغلط وهما من خصائص البشر. لا يزولان. فليس العقل إذن جديراً بالثقة والاعتماد وليست أحكامه ونتائجه متحررة من قيود الوهم والتصرف والخيال وليست بمصونة من اختلاط السهو والنسيان وشبه الخطأ والغلط. الرسالة رقم ٢٦٦ من مكتوبات الشيخ السرهندي.

ويقول العلامة ابن خلدون: العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور الآخرة. وحقيقة النبوة. ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال. وهذا لا يدل على أن الميزان في أحكامه غير صادق لكن العقل قد يقف عند حده. ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه. مقدمة ابن خلدون ٣٦٤ - ٣٦٥

ويقول الإمام الشاطبي: إن الله جعل للعقول في إدراكها حدا تنتهي إليه لا تتعداه ولم يجعل لها سبيل الإدراك في كل مطلوب. الاعتصام ٣١٨/٢.

ثم إن ترجمة الفلاسفة اليونانية وثقافتها الوثنية في الإلهيات والنجوم إلى اللغة العربية لم تكن مختارة ولا موفقة. وهي قد أثرت سلباً في عقول المتكلمين وزعماء الفرق والطوائف من المسلمين بل كانت هي وراء إحداث عديد من الفرق الفلسفية والباطنية وإذكاء روح الجدال والمناقشات العقيمة حول المسائل الأصولية والعقدية فصدمت نبوة كاهن رومي مسؤول عن ذخائر الكتب اليونانية حينما قال لملك الروم أن لا يبخل في استجابة خليفة المسلمين في طلبه تلك الكتب لتنقل إلى اللغة العربية قال: «أعطوهم فإن هذه الكتب لا تدخل في أمة إلا وأفسدت عقيدتها». فوقعت الفتنة وظهرت من المذاهب الفكرية والفلسفية والباطنية ما لا نهاية له. وإن «رسائل إخوان الصفا» وكتب المعتزلة والخوارج والقدرية والجبرية خير دليل على ذلك.

وفي العصر الحديث كان لحركة التبشير والتنصير. وكذلك لحركة الاستشراق دور كبير في نشر ظاهرة الإلحاد في المجتمعات المسلمة وبين المشغوفين بالثقافة الأوروبية الحديثة. كما أن حركة التغريب واكبت حركة التبشير خاصة بعد استيلاء الاستعمار الإنجليزي والاستعمار الفرنسي على معظم أقطار المسلمين وأنشئت المدارس والجامعات بهدف تغريب الشباب. كما أن البعثات العلمية من الدول العربية إلى فرنسا وإنجلترا وإلى بعض الدول الأخرى كان لها دور سلبي في إفساد عقول الشباب المسلمين.

كما أن ظهور بعض الفلسفات والأيدولوجيات في الغرب والشرق وانتشارها في أنحاء العالم المختلفة ساهما في ترويج الأفكار والآراء الإلحادية بين بعض الفئات من المسلمين.

وفي عقول بعض المثقفين من المسلمين وتم تجنيدهم ضد الفكر الديني السليم. فمنهم من تبني المنهج الشيوعي. ومنهم من أخذ يروج للمذاهب الفكرية والأدبية الغربية من الوجودية والفوضوية والعلمانية. ومنهم من انضم إلى الجمعيات السرية من الماسونية وأندية الروتاري ونتج عن ذلك تيار علماني لا ديني استمر اهتمامه بترويج أفكاره المسمومة. ونشر الفساد الأخلاقي في المجتمع.

وهناك مذاهب أدبية وأخرى فلسفية عديدة غيرها كلها تحارب الأديان وتدعو إلى الحياة المادية البحتة. وتحرض الشباب على الانغماس في الملذات والشهوات. وتقطع صلة الإنسان بالقيم الأخلاقية والأنشطة الروحية. كل ذلك أدى إلى نشر الإلحاد وترويج الإباحية المطلقة ودفع الشباب إلى حياة الكأس والطاس والفسق والمجون حتى لم يتردد البعض في الانضمام إلى مجموعة «عبدة الشياطين» والسقوط في هاوية الخاسرين في الدنيا والآخرة والعياذ بالله.

يقول الكاتب الناقد البصير ومفسر القرآن الكريم باللغتين الأردنية والإنجليزية متحدثاً عن نفسه بأنه كيف وقع في الفخ الذي نصبه بعض أدباء وأطباء اللغة الإنجليزية حتى وصل إلى الإلحاد وترك الدين الإسلامي الذي نشأ وترى عليه بعد ما ترعرع في أسرة مسلمة محافظة. يقول متحدثاً عن تجربة إلحاده وارتداده قبل عودته إلى الإسلام من جديد: «وجدت في مكتبة لكتناؤ (بالهند) كتاباً ضخماً في عدة مجلدات لكاتب إنجليزي تناول في أحد أجزاءه القرآن والإسلام بالذكر. ووضع صورة كبيرة في صفحة كاملة تحت عنوان مؤسس الإسلام (في زعمه) وكتب تحت الصورة كلمات تؤكد أنها صورة عكسية حقيقية مأخوذة من مصادر صحيحة. والصورة تقدم رسول الله ﷺ في شكل رجل عربي من البادية مخيف تدل أسارير وجهه أن صاحبها رجل جاف خشن وأن ملامحه توحي بأنه قاس غليظ القلب مجبول على العنف والشدة يقول: فآثرت هذه الصورة سلباً في نفسيتي تجاه الإسلام ونبي الإسلام.

ثم وجدت كتابين ضخمين للدكتور مادسلي (Madesly) بعنوان: (Mental phycology) «وظائف أعضاء الدماغ» و(Mental pathology) «الأمراض العقلية».

والكتابان قد نالا شهرة كبيرة. وفي الكتاب الثاني ذكر المؤلف ضمن الأمراض العقلية والاضطرابات النفسية حالات نوبات الصرع. وذكر في المثال حالة نزول الوحي لمحمد ﷺ - والعياذ بالله. وأكد أن المصابين بهذه الأمراض لا يمكن أن يتركوا أثراً خالداً أو يقدموا عملاً جليلاً. إن هذا الكتاب بالذات قد زرع ثقتي بالدين ورسخ الإلحاد في قلبي وأخرجني من ربة الإسلام. قصة حياتي ٢٣٩ - ٢٤٠ ..

حرية الاعتقاد والتعبير عن الآراء

الحرية حق من حقوق الإنسان الشخصية التي يجب أن ينالها. بل هي حقوق متعددة منها: حرية الاعتقاد وحرية التفكير وحرية الرأي والتعبير وحرية العمل والمسكن وحرية السياسية والحرية الدينية. حتى إن إنسانية الإنسان رهن بحريته... فالإنسان حر في اعتناق دين أو اختيار عقيدة ومنهج للحياة لكنه مسؤول ومحاسب على اختياره أمام رب العالمين.

ولكنه كما أنه يثاب على اختيار الإيمان والالتزام بالعمل الصالح كذلك يعاقب على اختيار الكفر والعمل السيئ. وما إرسال الرسل وإنزال الكتب من الله سبحانه إلا لإزالة الطريق وإرشاد الناس وتوجيههم إلى سبيل الهدى والرشاد. ومنعه عن طريق الغواية والضلال.

إن الإسلام قد ضمن لكافة الناس الحرية وحق الاعتقاد فلم يأمر بهدم الكنائس والصوامع. ولم يجبر أحداً على قبول النهج الذي يراه أنه الصحيح. بل هياً جو التعايش الآمن بين كافة الشعوب والأمم ولكافة أهل الملل والديانات. وترك أمر اعتناق الإسلام الذي هو الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى اختيارياً وعن اقتناع تام. لأن الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان. وعمل بالأركان. وهذه الحقيقة لا يمكن أن تتحقق في حالة الإكراه والإجبار. فلا فائدة من إكراه أحد على قبول الإسلام واعتناق الدين الحنيف.

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسير (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ): أي لا تكروهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه بين وأضح جلي دلالة وبراهينه. لا يحتاج إلى أن يكره أحداً على الدخول فيه. بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة. ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً. تفسير ابن كثير ١٢٧/٢

لكن الحرية لا ينبغي أن تكون حرية مطلقة. بل يجب أن توضع للحرية ضوابط تكون خاضعة لها. منها:

- أن لا تكون الحرية تابعة للأهواء والشهوات.
 - أن لا تكون سبباً في صدور كلمات جارحة لشعور الآخرين.
 - أن لا يساء باسم الحرية مقدسات بين آخر يقول الله عز وجل: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) (الأنعام: ١٠٨).
 - أن لا يستغل ضعف وفقر الآخرين لإرغامهم على اعتناق دين أو قبول عقيدة أو فكر.
 - وأن يكون الرفق واللين السمة الغالبة للدعوة إلى الخير.
- فإذا كانت حرية التعبير تتعارض مع مصلحة الناس أو تمس كرامة أحد منهم أو تؤدي إلى إشاعة الفاحشة في المجتمع

فلا تكون الحرية متاحة. فقد منع الإسلام أتباعه. وكذلك كل من يعيش في المجتمع المسلم من أمور كثيرة. منها:

- نشر الإباحية.
- المجاهرة بالفسق.
- نشر الإلحاد والأفكار الخاطئة.
- القذف والافتراء.
- إشاعة الفاحشة.
- إثارة الهلع والخوف في المجتمع.
- التحريض على الجريمة.
- إفشاء أسرار الآخرين.

وذلك تحقيقاً للمصلحة الخاصة والعامّة وحفاظاً على الأمن الاجتماعي وحماية كرامة الإنسان. وفي ضوء كلام الفقهاء إذا تعارض الأمر بين حرية التعبير وبين المصالح العامّة فيختار أخف الضررين وأهونهما.

إن سوء استخدام «حرية التعبير» قد أصبح ظاهرة عالمية وأصبحت السيطرة على الممارسات الخاطئة أكثر صعوبة وتعقيداً بعد انتشار أدوات التواصل الاجتماعي.

إن «الجرائم الإلكترونية» قد اكتسحت الساحة وإن استخدام الإنترنت (الشبكة العنكبوتية) وأدوات التواصل الاجتماعي قد جعل نشر الأفكار الخاطئة. وترويج مناظر مخلة بالأداب ومعتقدات غريبة وشاذة. وأموراً هادمة للنسيج الاجتماعي. ومخالفة للقوانين والأعراف والأحكام الشرعية أمراً سهلاً ميسوراً. بل هناك أساليب جديدة وماكرة للتخفي والتستر وراء أسماء مستعارة حتى لا يقع الإنسان تحت طائلة القانون ويروج ما يشاء من أفكار وآراء.

يؤكد تقرير نشرته (B.B.C) عن الأسماء المستعارة في شهر مارس عام ٢٠١٥م أن التكنولوجيا صعبت وضع الحدود المقبولة في المنافسة وقدمت أنماطاً جديدة في خرق الأخلاقيات والمبادئ.

وأكد د. ديفيد ويلسكي أستاذ أخلاقيات العمل من جامعة «بتيس برغ»: «أن القوانين وموثيق الشرف الخاصة باستخدام الإنترنت لم تعد قادرة على مواكبة التطور السريع للتكنولوجيا».

وخلاصة القول: إن الحرية التي يمنحها الإسلام هي الحرية المسؤولة والمحاطة بالأحكام التكميلية. فلا مجال فيها للانسحاق وراء النزوات والشهوات والتهالك على الجنس والمال. بخلاف الحريات التي ينادي بها من لا يخضع للقوانين الإسلامية. فهي حرية تحمل في طياتها ما يكون وبالاً على الفرد والمجتمع فضررها أكثر من نفعها. وسلبياتها أكثر من إيجابياتها. فباسم الحرية ضاعت الأخلاق. والقيم ومكارم الأخلاق.

الإلحاد

الأسباب والعلاج

أعدّه للنشر د. محمد تاج العروسي

ألغاه في قلوب أشقياء الخلق من إنكار وجود الرَّبِّ. وهذا أعظم أنواع الكفر بالله، وأقبح صوره. وهو الَّذِي قصَّه اللهُ تعالى في كتابه عن فرعونَ القائل: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)، «وهذا جحدٌ صريحٌ لِإلهِ الْعَالَمِينَ». وكذلك قوله: (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ). «فاستفهمه استفهامَ إنكار. لا استفهام استعلام». وما فارق فيه الإلحاد المعاصر جذوره وسلفه. أنه يقدم نفسه بثوب علمي بحني وأنه نتاج دراسات وأبحاث. وكذلك يفارقه في أنه يقدم نفسه على أنه فكرٌ عالميٌّ إنساني لا يرتبط بمذهب أو بلد فتطايَّرت شظاياها في سائر بلدان الدنيا. وتوسَّعت دائرة الإلحاد.

المبحث الأول: أسباب توسُّع دائرة الإلحاد المعاصر

تناول فيه الباحث أبرز العوامل التي أدت إلى توسُّعه. وهي كالتالي:

1. كونه يخدم مصالح قوىٍ سياسيَّة ذات ثقل في العالم؛ لذلك سخرت لنشره إمكانات متنوِّعة ماديَّة وإعلاميَّة. كما ذلك سبب انتشاره من خلال نظم وقوانين وتشريعات أمية ودولية. صراع مع الملاحدة حتى العظم ص (٦٣).
2. ظهور الشيوعيَّة التي دعا لها كارل ماركس. وهي وإن كانت رؤيَّة اقتصاديَّة في الأصل. تستهدف معالجة المظالم الرأسماليَّة الفرديَّة. إلا أن هذه الفكرة الاقتصاديَّة اصطبغت بضبغة عقائديَّة جاوزت المعالجة الاقتصاديَّة. فتبنَّت فكرة أن الحياة مادَّة. وكل ما عدا ذلك من الغيبيَّات هراءٌ لا حقيقة له. بل هو عائق أمام كل بناء وتقدم. خلاصة العناد في مواجهة الإلحاد ص (٤٧). الموسوعة العربية (٤٨٩/٨).
3. الإرث الاستعماريُّ البغيض الذي دعم كلَّ عوامل انسلاخ المسلمين عن دينهم. ولذلك قيل: الاستعمارُ هو أبو الإلحاد وأمه. وهو فاح أبوابه. وربط أسبابه. وذلك من خلال إنشاعة فكرة فصل الدِّين عن حياة النَّاس. وهي ما يُعرف بنشر قيم العلمانيَّة التي عزلت الدِّين عن الحضور في حياة النَّاس وعلاقاتهم. وحصرت

تقدم الأستاذ الدكتور خالد بن عبد الله المصلح بهذا البحث للمؤتمر الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بعنوان «الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة» وهذا ملخصه: بدأ بحثه ببيان خطورة الإلحاد والشرائح التي يكثر فيها. ثم ذكر أهم الأسباب التي أدت إلى ذلك وطرق علاجها. وذلك في مقدمة ومبحثين:

حدث في المقدمة عن خطورة الإلحاد. واعتبره من القضايا التي شغلت ذهن كثير من الناس على اختلاف عقائدهم وأجناسهم وبلدانهم. وتكمن خطورته في كونه يغلب عليه الجانب الشهواني أكثر من الجوانب الفلسفية والفكرية والاجتماعية... وجاوز فكرته الدوائر المعتادة. وهي النخب المتعلمة والمثقفة. إلى بعض الشرائح التي لم يكن لها سابق حضور. وهم الشباب الذين تغلب عليهم الرغبة في المذات والشهوات، فأصبحت الإباحية أكبر مسوق للإلحاد الحديث.

واعتبر فكرة الإلحاد من العداء الشيطاني للإنسان. والذي بدت بوادره قبل أن تنفخ الرُّوح في آدم... ولهذا لما بدت أعلام العداوة بين إبليس وبني آدم. وظهر ما في نفسه من العلو والاستكبار. أقسم بما أخبر الله في كتابه: (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (الأعراف). (١٧))

ومنذ ذلك الحين. وهو جاهدٌ في إغواء بني آدم بسبل بالشبهات تارةً وبالشهوات أخرى. وكان من أعظم إضلاله تشكيك الخلق بربهم. وما يقذفه من الوسوس في شأنه. ومن ذلك ما أخبر به النَّبِيُّ ﷺ. فيما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك. فليستعد بالله. وليتته». فلم يزل الشيطان يلقي بوساوسه في قلوب النَّاس ألواناً من الضلالات والظنون والخيالات. وكان أشنع ذلك ما

في جوانب اختيارية ضيقة. الإبراهيمي - الآثار (٢٨/٣).

٤. العولة ومنتجاتها التي سوّقت كثيراً من الأفكار المنحرفة التي شجّعت على التمرّد على الدين والقيم والمبادئ والأصول. بدعوى تشجيع الفكر والإبداع وحرية التعبير والتنوير. وكذلك ما أنتجته العولة من انفتاح واسع. أزال الحواجز التي كانت تمثل نوعاً من الحصانة والوقاية أن يُورد مُرضٍ على مُصح. فسَهّل ذلك انتقال كثير من الأفكار الإلحادية والتواصل المباشر معهم. عبر نشر الكتب والروايات التي تدعو إلى الإلحاد أو تقود إليه بمصطلحات برّاقة. كالبُحوث العلمية والدراسات الإنسانية. ٥. الانبهار بالجانب المادي للحضارة الغربية ومنجزاتها. بما صيرها مرجعاً فكرياً ثقافياً لكثير من المنبهرين بها. وسَهّل نشر القيم الغربية. والتغريب الفكري والسلوكي. قال الشيخ محمد رشيد رضا: «من العلوم بالاختيار. أنه قد كثر الإلحاد والزندقة في الأمصار التي أفسد التفرغ تربيتها الإسلامية وتعليم مدارسها». تفسير المنار (٤٤٢/١).

٦. التخلّف الحضاري الجائهم على العالم الإسلامي في الجملة. حيث يربط الروجون للأفكار المنحرفة ومنها الإلحادية بأنه ثمرة التدين «فعندما يقارن السبب المنبهر بالغرب بين تقدم الغربيين الكفار وحضرتهم. وبين تخلف بني قومه من المسلمين وتأخرهم. يتولد لديه فقدان الثقة في قدرة الإسلام على تحقيق التقدم والنهضة. وبالتالي الكفر به بالكلية»... وهو ما يروج له بإسقاطات ماكرة. فيقال: إن الحضارة الغربية. إنما انطلقت شرارتها وبدأت جذوتها. عندما تخلّصت أوروبا من سيطرة التدين الذي عاقها عن الحضارة والارتقاء. ونبذت تعاليم دينها وراءها ظهرياً. فتقدّمت وملكت القوى المادية.

٧. ما أحدثته الثورة الصناعية من تغيير في حياة الناس على ظهر الأرض. ونشر للرفاهية والرخاء. فانصرف كثير من الناس عن العقائد الدينية. وأمنوا بالعلم المادي كإله جديد. قادر على أن يُدلل لهم كل الصعاب على هذه الأرض. بل أطمعهم هذا الإله المادي أيضاً في الوصول إلى الكواكب الأخرى. وتسخيرها في خدمة الإنسان. وهكذا ساعد اقتران العلم المادي والكنشوف الجديدة بالإلحاد. على طعن الناس أن العلم ثمرة ونتيجة للإلحاد. ولذلك تدرّج كثير من دعاة الإلحاد بالاعتناء بالدراسات والأبحاث التجريبية: ليُوهموا بأن ما توصلوا إليه من إنكار الخالق. تسانده الأدلة. ويتسق مع نتائج العلوم الطبيعية التجريبية.

الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها. للشيخ

عبدالرحمن عبدالخالق

٨. تجنيدُ بعض أبناء الأمة ممن يتكلمون بألسنتها. ويتظاهرون بالنصح لها: للترويج للإلحاد والتسويق له والتبرير. والتقدّم للدين والتطاول على الثوابت والتشويه للإسلام ورجالته وتاريخه. بدعوى حرية التعبير وإفساح المجال للرأي والرأي الآخر.

٩. تبنى كل الأفكار والشخصيات والمراكز والمعاهد التي تُروّج للإلحاد. وتدعو إليه وتشجّع عليه. ومناصرتهم والدفاع عنهم وإمدادهم بكل دعم مادي أو معنوي. ميليشيا الإلحاد لعبد الله العجيري ص (٣٥. ٣٩. ٧٧).

١٠. حالة التشرذم التي مزقت الأمة وفرقتها شيعاً وأحزاباً. وسلّطت بعضها على بعض. إما عرقياً أو طائفيّاً أو حزبيّاً. فقتل بعضهم بعضاً. وتسلّط بعضها على بعض. فخدموا الأعداء وحققوا لهم مكاسب لم يحلموا بها. وقد استغل هذا كله الملحدون. لتشويه الدين واجتذاب فئام من الناس إليهم.

١١. التأخر في مواجهة ضلالة الإلحاد. وردّ شبهه بالحجج المبطله له. والمبينة لتهافته بخطاب عصريّ مقلع. ودلائل علمية رصينة. فبقيت جملة من التساؤلات الوجودية والفلسفية المعاصرة التي يتكئ عليها دعاة الإلحاد دون إجابات مقنعة تكشف زيفها وتبين تهافتها. فالإلحاد لا ساق له إلا الهوى والجهل.

١٢. التدين المغلوط والمنقوص. فالإرهاب والغلوّ أظهرًا الدين بأنه معول هدم للبشرية. لا عامل بناء. والتطرف الذي تبناه تنظيم الدولة «داعش» والذي جسّده من خلال أطروحاته الغالية. وممارساته المنحرفة. استغلته الجهات الإلحادية لتشويه الدين والتنفير منه. حتى غدا ذلك الانحراف عاملاً منفرطاً طارداً عن الدين إلى كل ما يضاؤه. وفشو التصوف الغالي والتشيع الجافي. كان له أثر كبير في فشو الإلحاد. فمهد ذلك كله «السبيل لدخول الإلحاد على النفوس. وهيأ النفوس لقبول الإلحاد... فالضلالات والبدع ترمي الجذ بالهويين. وترمي الحصانة بالوهن. وترمي الحقيقة بالوهم. فإذا هذه النفوس كالغور المفتوحة لكل مهاجم».

١٣. طغيان الشهوات. يفر المتورطون فيها الذين تشربتها قلوبهم إلى الإلحاد: للتخلص من القيود التي تحول بينهم وبين تلك المذات. وتذهب عنهم ألم الخالفة لتلك الشرائع. فيكون الإلحاد أداة تفتح له أبواب الشهوات. وملاذاً يحميه من لهيب المعصية وألم مقارفتها.

الدعوات الإلحادية وسائلها وخطرها وسبل مواجهتها د. عوض الركابي

المبحث الثاني: طرق معالجة التوسع في دائرة الإلحاد

الإلحاد بمفهومه الخاص. وما يدور في فلكه من طرائق الإلحاد وسبله كلها قائمة على نقض أصل الإيمان وأساسه الأصيل وقاعدته الكبرى: لهذا كانت العناية بمعالجته. والبحث عن وسائل مدافعتة من أهم المهتمات.

فالقرآن الحكيم أسس منهجاً رصيناً وطريقاً قويمًا في الردّ على كل الضلالات وأنواع الانحرافات. وكان قد سلك في معالجة ذلك أساليب متنوعة وطرقاً عدّة. ولم يحصر ذلك في طريق معيّن: بل كل سبيل يُقيم الحق ويُرُد الباطل. فإنه مأمور به في قوله

تعالى: (وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).

بعد أن مهد بهذه الجملة لخص الباحث طرق العلاج في النقاط التالية:

أولاً: تعرية الأسس التي يقوم عليها الإلحاد، وبيان تهافتها، وأنها ضلالة قائمة على الجهالة والظنون الكاذبة والخيالات الفاسدة، فقد ردَّ الله تعالى على الملحدين الدهرية الأوائل بذلك، فقال تعالى: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا مَمُوتٌ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) (الجنانية: ٤٨). فواجههم بحقيقة كشفت ما هم عليه من غطرسة المعرفة ووهم العلم، فما هم عليه عار عن كل معرفة وعلم. ثانياً: تفنيد ضلالتهم بالحجة والبرهان، وقد أقام الله دلائل لا حصر لها تدل عليه، فأبرأها وبيان تنوعها وكثرتها، تحض أباطيل الملحدين.

ثالثاً: إبراز ما كتبه العائدون من أساطين الإلحاد، الذين أجتأهم الدلائل والبراهين إلى الإقرار بالله والإيمان بوجوده، وهم غير قليل، فكثير ممن تورط في هذا الضلال أبصرت عينه الحقيقة، فرجع عن هذه الضلالة، ومن ذلك على سبيل المثال الفيلسوف البريطاني أنتوني فليو، الذي ألف كتابه «هناك إله» وقد ترجمه الدكتور عمرو شريف، بعنوان «رحلة عقل»، وكذلك كريسي موريسون، فلقد كان من كبار المنظرين للإلحاد، ثم رجع عنه وكتب كتابه الشهير «العلم يدعو للإيمان»، وهو كتاب ردَّ فيه على بعض الملحدين.

ومما قاله في كتابه هذا: «إنَّ تقدُّم الإنسان من الوجهة الخلقية، وشعوره بالواجب، إنما هو أثر من آثار الإيمان بالله»، وقال أيضاً: «إنَّ غزارة التدين لتكتشف عن روح الإنسان، وترفعه خطوة خطوة، حتى يشعر بالاتصال بالله، وإن دعاء الإنسان الغريزي لله بأن يكون في عونه هو أمر طبيعي، وإن أبسط صلاة، تسمو به إلى مقربة من خالقه»، وقال كذلك: «بدون الإيمان كانت المدينة تفسد، وكان النظام ينقلب فوضى، وكان كل ضابط، وكل كبح يضع، وكان الشر يسود العالم؛ فعلينا أن نثبت على اعتقادنا بوجود الله وعلى محبته».

ثالثاً: مراجعة أساليب الخطاب الديني في ظل هذه المتغيرات، سواء منها ما كان في تقرير العقائد أو كان منها في تقرير الأحكام أو ما كان منها في سياق الوعظ والتذكير، وأكد ما ينبغي ملاحظته في ذلك الجمع بين خطاب القلب والروح، وتلبية حوائج العقل والفكر، في توازن يعطي كل جانب حقه بما يناسبه.

رابعاً: العناية بإبراز الحكم والعلايل والغايات، في بيان الأحكام الشرعية، والمبادرة إلى تقديم الحلول المناسبة لأزمات العصر، من خلال نور الوحي ومقاصده الكبرى وقواعده المحكمة، ولهذا «لا بد أن تطعم الأدلة الشرعية مع ناقص الإيمان بدليل من العقل ليقنع، ولهذا جردون القرآن ملوفاً بالأدلة العقلية؛ لأنه

يُخاطب قوماً ليس عندهم من الدين ما يحملهم على قبول الحق من الكتاب والسنة». فإنَّ «من الناس من لا يكتفي بالأدلة الشرعية، بل يحتاج أن تُسند الأدلة الشرعية عنده بأدلة عقلية».

خامساً: التأكيد على أنَّ الدين الصحيح ركيزة في بناء الحياة البشرية السوية التي تحقّق العدالة والكرامة والتنمية، وتوجيه مصالح الناس وكل ما يصبو إليه البشر من حياة طيبة هنية، فدين الإسلام لا يتعارض مع منتجات العصر التي تبني الإنسان، بل إنه يشجع على تحصيل أسباب الرقي المادي والتقدم الحضاري، والضرب بسهم في بناء الإنسانية وتحقيق عمارة الأرض.

سادساً: التحذير من مناهج الغلو والتطرف والإرهاب، وبيان براءة الإسلام منها، وعظيم تحذيره من التورط فيها، وبيان ما مارسه الملحدون من غلو وتطرف وإبادة لمن خالفهم، والإرهاب الذي مارسوه وما زالوا يمارسونه في البلدان التي لهم فيها سطوة، كالصين وروسيا وما دار في فلكهما من الأنظمة والدول.

سابعاً: إبراز محاسن الإسلام عقيدةً وشرعيةً، وما قدّمه للبشرية من خيرات ومنافع، منذ ظهوره إلى يومنا الحاضر، وهذا من أقوى ما يفند الشبهات التي يُثيرها أعداء الإسلام تجاه الإسلام عقيدةً وشرعيةً وأمةً.

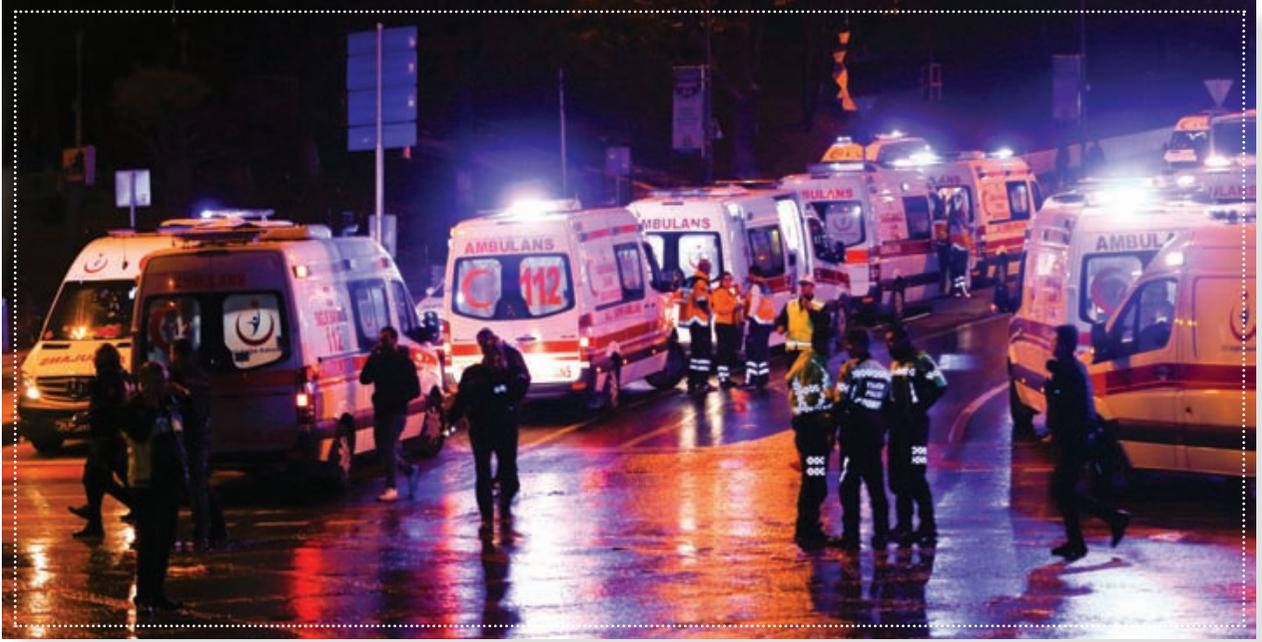
ثامناً: العمل على إنشاء مراكز بحثية تعنى بالقضايا الفلسفية والفكرية المعاصرة، ودعم القائم منها علمياً ومادياً وإعلامياً ومعلوماتياً، وحث أصحاب رؤوس الأموال على البذل السخي في مثل هذه المشاريع المهمة.

تاسعاً: بناء مناهج علمية تساهم في صياغة عقل ذي حصانة تردُّ أباطيل الملحدين، وتنحسر أمامه شبهات الإلحاد وما يُشاكلها من الضلالات.

عاشراً: العناية بالنشء تربيةً وتأسيساً، من خلال تضافر جهود كل الجهات المشاركة في التربية، وبناء جيل واع محصن فكرياً، وهذه مسؤولية مشتركة تتحملها كل الجهات ذات العلاقة بالنشء ابتداءً من الأسرة التي هي اللبنة الأولى لكل عملية تربوية ناجحة، مشاركة مع دور التعليم ووسائل الإعلام والحاضن الشبابية المتنوعة وغيرها من الجهات الفاعلة.

الحادي عشر: تكثيف الحضور العلمي المؤصل للشخصيات العلمية وذات التأثير الفاعل لردِّ شبه الملحدين، وتبصير الناس بضلالهم عبر كل الوسائل المؤثرة، ومنها وسائل الإعلام المتنوعة الحديثة والتقليدية.

هذه بعض الومضات حول الإلحاد الحديث أسبابه ومعالجاته، وهو موضوع في غاية الأهمية وبحاجة إلى دراسات أكثر عمقا لتشعب الجهات المتصلة بهذه الظاهرة، ولقوة الدعاية التي تروج له وتدعو إليه، أسأل الله التوفيق والسداد للجميع.



البحث عن جذور

الإرهاب

بقلم: الدكتور عبدالقادر الشихلي

المستشار في رابطة العالم الإسلامي

به حلول سلمية، أو اجتماعية، أو ثقافية، يؤثر على كميات الحقوق والحريات ونوعها. ومن الجدير بالذكر أن الإرهاب ظاهرة دولية عامة، إذ يستحيل وجود مجتمع بشري لم تمر عليه عملية إرهابية كبيرة أو متوسطة، إذ أصبح الإرهاب شأنًا دوليًا يهم جميع الشعوب والأمم، كما أنه شأن يهم جميع البشر مهما اختلفت ألوأنهم وعقائدهم وظروفهم وأوضاعهم. وأسارع إلى القول إن الإرهاب ليس وراءه أسباب موحدة موجودة في كل مجتمع بشري، إذ إن الدافع الذي يحث فردًا أو مجموعة

لكل مشكلة - أياً كانت اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية - بُعدان: قبلي وبعدي، فقبل المشكلة تكمن الأسباب والعوامل، أما الأسباب فهي المؤثرات المباشرة الفعالة، بينما العوامل هي المؤثرات غير المباشرة. أما بعد المشكلة فهي الحلول أو البدائل أو الخيارات التي تُعرض لحسم المشكلة وإنهاء وجودها، وبطبيعة الحال فإن هذه الحلول منها ما هو جوهري فعال لا تأثير في تنفيذه على الظروف أو الأحوال المحيطة بالمشكلة، ومنها ما له تأثير على العناصر الخارجية، فالحل الأمني الأوحدهم للإرهاب دون أن تقترن



بصورة مغلوبة. ذلك أن الإرهاب يُصيب البريء وغيره. وقد يُصيب أو يتضرر منه من يدافع عن اللاجئين والمهاجرين. فعلى الجهات الأكاديمية والفكرية في المجتمع الغربي أن تفكر بعمق في هذه المشكلة وتضع برامج تربوية وتعليمية وثقافية لمسافات تُدرس في المدارس والجامعات. وذلك لتنوير الأفراد بحقيقة المشكلة وطرق معالجتها.

ثانياً: بأس الشباب في مجتمعه الوطني أو في المجتمع الذي هاجر إليه من فقدان العمل وسيادة البطالة. وتآكل الطموحات في الزواج وتأسيس أسرة وفي السكن. فالشباب يرون أنفسهم يملكون من المؤهلات والقدرات ما يجعلهم قوة اقتصادية واجتماعية فعّالة. ولكن التخبط في السياسات الاجتماعية والاقتصادية تجعل بعض الشباب لا يرى بصيص نور في نهاية النفق. فينقم على سلطته الوطنية أو على السلطة الأجنبية. ويقوم بعمل إرهابي شنيع.

الأمر الذي يفترض توفر فرص العمل والسكن للجميع في كل مكان ضمن سياسة علمية تلبي رغبات الشباب وطموحاتهم المشروعة. أما أن يزيد الغني غنىً ويزيد الفقير فقراً فهذا سيؤدي إلى اختلال في البنية الاجتماعية. ومن ثم يفكر بعض الشباب بأعمال انتقامية بعد أن يهيمن عليه اليأس والقنوط.

إن إغفال قوة الشباب وطاقتهم وقدراتهم يضر بطرفين. الوطن الذي يحرم من هذه الطاقات. والطرف الجني عليه الذي يتعرض لعمل إرهابي غير عقلاني.

ثالثاً: دخول بعض الشباب أو الشيوخ المسلمين إلى الميدان الشرعي والإفتاء بدون ثقافة دينية معمقة.

إن هؤلاء اعتنقوا أفكار الغلاة. وهي أفكار كانت سائدة وقت كان الإسلام ضعيفاً أو محاصراً. وعلى الرغم من انحسار الظروف التاريخية التي راجت فيها الأفكار المتطرفة إلا

ما للقيام بعملية إرهابية يختلف من أحد إلى آخر. ومن مجموعة إلى أخرى. وقد تتوحد الأسباب لدى مجموعة معينة من البشر. كما هي الحال لدى الأمريكان من أصل إفريقي. إذ إن التمييز العنصري ضدهم قد خف. وكافحته قوانين صارمة. إلا أن التمييز ما زال قائماً في اللاشعور لدى بعض فئات من المجتمع الغربي. وكذلك فإن كراهية الإسلام تختلف من فرد غربي لآخر. إذ إن هذه الكراهية عقدية لدى بعض الأفراد. وتاريخية لدى البعض الآخر. ونفسية. واقتصادية لدى آخرين. فيرون أن القوى العاملة ذات المعتقد الديني الإسلامي تزاخم بقية القوى العاملة الوطنية أو الأصلية.

إذاً يتعين البحث عن جذور الإرهاب القائمة الآن. ففي الساحة الغربية والتمثلة أساساً في شعار الإسلاموفوبيا. أي الخوف من الإسلام باعتباره - كما يرى أعداؤه - ديناً إرهابياً قائماً على العنف والتطرف وكراهية الآخرين.

وفيما يلي نظرة عجلية لهذه الأسباب والعوامل في النطاق الغربي:

أولاً: المعاملة السيئة أو شبه السيئة للاجئين أو المهاجرين الجدد باعتبارهم أغراباً عن المجتمع الغربي والثقافة الوطنية: يرى أصحاب هذا الرأي أن هؤلاء اللاجئين أو المهاجرين الجدد يزاحمونهم على لقمة العيش من جهة. وأن الشعوب الغربية تسودها قيم الحضارة الغربية وحكم الديمقراطية وحقوق الإنسان وحرياته الأساسية من جهة أخرى. بينما يرى أصحاب هذا الرأي الغاشم أن هؤلاء القادمين جاؤوا من مجتمعات متخلفة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً. وتسود أنظمتها الدكتاتورية. ومن ثم فهؤلاء لم يتشربوا بالأخلاق السياسية والاجتماعية للحضارة الغربية. والمهاجر أو اللاجئ على الرغم من قدومه لهذا المجتمع الغربي بحض إرادته وبرغبته الشخصية الحرة فإنه يرى أن هذا المجتمع غير راغب فيه. وينظر إليه نظرة ما بين الريب والازدراء. فتصبح نفسية بعض المهاجرين أو اللاجئين سوداء أو شبه سوداء. فينقم من هذا المجتمع. وإذا تعرض إلى مضايقات حقيقية في حياته أو عيشه فإنه قد يحصل لدى بعض الأفراد رغبة في الانتقام من هذا المجتمع الذي واجهه بكراهية أو بسلبية لا يستحقها. ويرى بعض المهاجرين أو اللاجئين أن ثمة تناقضاً بين القيم الإنسانية الغربية وبين هذا التعامل اليومي الفظ أو المرتاب. وفي هذه الحال على الدول الغربية. حكومات وشعوب. أن تلاحظ المعاناة التي تسود هذا المناخ السلبي تجاه اللاجئين والمهاجرين. والذي يتباين ما بين الازدراء والشك تجاه المهاجرين واللاجئين.

مهم جداً أن يعيش الإنسان في ظروف طبيعية. فإذا كانت الظروف لم يرح لها هذا المهاجر أو اللاجئ فإنه يفكر بالانتقام

الأوروبي بالسماح لأرباب العمل بحظر الملابس والرموز الدينية في أماكن العمل. بينما شرعت قوانين ضد الحجاب في بعض هذه المجتمعات.

إن هذه الحال عبارة عن استفزاز لبشّر آمنوا بالأخوة البشرية. وإن الله سبحانه خلقهم جميعاً. فلماذا ينفر هؤلاء عن قبول أو اندماج المسلمين في المجتمعات الغربية مع كونهم يساهمون بصورة مباشرة في الإنتاج والعمل العلمي والفني والتشغيلي والخدمي. فهم ليسوا عالة على الدولة أو على المجتمع. وإنما هم قوة جاهزة للعمل فوراً.

إن قادة حكومات المجتمعات الغربية يغرون أصحاب الكفايات العلمية من الدول النامية لغرض استثمارهم وتوظيفهم لصالح الاقتصاد أو العمل الجامعي أو العلمي أو الإنتاجي. ومن ثم يأتي الكفاء جاهزاً دون أن تنفق عليه الدولة الغربية فلساً واحداً في مراحل دراساته المختلفة. بينما المجتمعات الإسلامية والعربية والنامية أولى بهذه القوى العلمية. فهي بنت الوطن الأصلي. ومن ثم عليها التفرغ لخدمته. ولكن قصور بعض الحكومات أدى بها إلى أن تتجاهل هذه الكفايات فتبادر المجتمعات الغربية بامتصاصها.

زبدة القول في هذا الشأن إن فقدان العدالة الاجتماعية هي سبب جوهرى في وجود الإرهاب وتناميه باطراد. فدولياً لم تخل المشكلة الفلسطينية. ولم يستطع أي جهد دولي أن يزلزل النقض (الفيتو) الأميركي الموضوع تجاه حماية إسرائيل في مجلس الأمن واستهتارها بالقانون الدولي.

كما أن غياب أو ضعف العدالة الاجتماعية أدى إلى اختلالات هيكلية في المجتمع. فمعظم المتورطين بالإرهاب مروا بظروف اجتماعية واقتصادية صعبة. وإذا كان بعض الأفراد قادراً على التكيف مع هذه الظروف الصعبة فإن البعض الآخر يلجأ إلى التهور فيزرع الرعب يميناً وشمالاً ويصيب الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال. ولا يحصل الإسلام على أي نتيجة إيجابية. وإنما تلحق به سمعة غير حسنة. وبرامج النصح للمتورطين بأعمال إرهابية جيدة. ولكن يجب أن ترافقها عمليات لتوظيف المتورطين بعد أن تتم إعادة تأهيلهم في المجتمع الوطني.

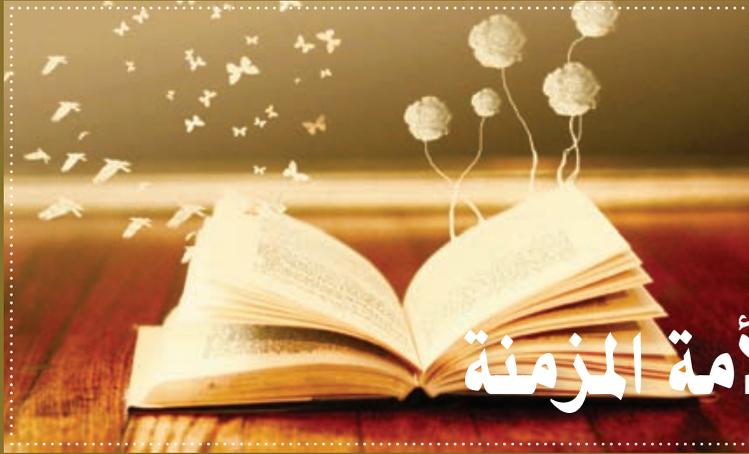
إن العدالة الاجتماعية هي الدواء الشافي لمعظم الأمراض الاجتماعية. كالفقر والتمييز والظلم واليأس والنقمة. وعندما طلب أحد الولاة من الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يدعّمه بمال لتسوير المدينة أجابه قم بتسويرها بالعدل.

ونسأل المولى عز وجل أن يحفظ الإسلام والمسلمين. إنه سميع مجيب الدعوات.

أنها بقيت موجودة في بعض الكتب الفقهية. وبدأت تظهر تنظيمات متطرفة لا تعبر عن الروح الوسطية والمعتدلة للإسلام. وإنما تضع وجهاً قاسياً وكئيباً عليه. ومن سوء الحال أن الجهات الأجنبية الكارهة للإسلام والمسلمين قامت بابتكار تنظيمات إسلامية مزورة تقوم بأعمال إرهابية شنيعة بغرض تشويه اسم الإسلام وحقيقته. واختلط الحابل بالنابل. وهناك تنظيمات الجهلة الأميين. وإلى جوارها بنفس المنهج التنظيمات الغربية المصطنعة التي غررت ببعض الشباب في الغرب وأفهمتهم أن «القوة» هي التي ترد الحقوق. وهذه القوة ليس مخططاً لها وإنما هي أقرب إلى التهور والانديفاع الأعمى ورفع بعض الشعارات المضللة. ومن المهم جداً فك الارتباط في النظرة الحقيقية للإرهاب ما بين تنظيمات تزعم أنها إسلامية. وأخرى تركب موجة الإسلام لغرض تشويهه وتعطيل دوره العالمي.

رابعاً: صعود اليمين المحافظ إلى الحكم في بعض الدول الغربية. نلاحظ أشخاصاً من هذا التيار يتراوحون بين نازيين. وقوميين متعصبين. وقد وصلوا إلى بعض المواقع الاجتماعية أو البرلمانية في بعض الدول الغربية. وهذا التيار يرفع شعار الإسلاموفوبيا. ويطالب بطرد المواطنين المسلمين الذين هاجروا أو لجؤوا إلى المجتمع الغربي. وفي ظل هذا المناخ المكهرب صعد اليمين الفرنسي المتطرف بزعامة مارين لوبان قائدة الكتلة اليمينية المتطرفة جداً (حزب الجبهة الوطنية الفرنسي). والتي تطالب بالسيطرة على الهجرة في فرنسا. وعلى الرغم من أنها لم تفز في الانتخابات الرئاسية الفرنسية الأخيرة إلا أن دعاؤها ما زالت سائدة لدى قطاع من المجتمع الفرنسي. وكذلك حزب الحرية في هولندا. وحزب فوكس الإسباني الذي يدعو إلى إغلاق المساجد. وقد نال (٢٢) مقعداً في الانتخابات التشريعية. إن وجود التعصب الأعمى. والتمييز العرقي والديني هو الذي يقف وراء تنامي المد اليميني في المجتمعات الغربية.

ومن جهة أخرى فإن الحرية الفردية التي يقوم عليها الاقتصاد الرأسمالي الغربي والديموقراطية السياسية تمنح الإنسان حقاً في ارتداء ما يروق له من ملابس أو إشارات تنم عن دينه أو معتقده السياسي. فهناك طاقة الرأس لليهودي. وهناك الصليب للرجال أو النساء أو رجال الدين المسيحي. فهي تثبت طبيعة مسيحية هذا المجتمع. إلا أنه بمجرد مجيء المهاجرين أو اللاجئين المسلمين ظهرت دعاوى ضد حجاب النساء المسلمات. وهي دعاوى تنم عن الغيظ من تنامي القوة الإسلامية في المجتمع الغربي. وقد حكمت محكمة الاتحاد



القراءة

علاج لأعراض الأمة المزمنة

أ.د. أحمد محمود عيساوي

باحث وأكاديمي جزائري

معياري قيمي وحتمي، وجعلتها سنة كونية أفاقية في قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) (العلق: ١)، ووطدتها الممارسة العملية لرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وهو يتلقى عن ربه قواعد العمل الدعوي والتبليغي المؤسس على العلم والمعرفة في قوله تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) (محمد: ١٩). ومن هنا وبسببها كانت - ولا زالت وما تزال - عطاءات وفتوحات ومجاهات الحضارة العربية الإسلامية طيلة قرون النور والنهضة بسبب طغيان فعل القراءة المقدس في نخبها الحية.

وعليه فقد وضعت لنا تعاليم الإسلام الغراء في المحتجيين البيضواوين (الكتاب والسنة) منطلق الطريق السوي. وحددت لنا موطأ خطواته الأولى، ومبدأ انطلاقه الحقيقي والسوي بممارسة فعل القراءة الحضاري، بله المقدس. واقتضى سلفنا الصالح من خير القرون الهجرية الأربعة الأولى الآثار والخطى في عالم القراءة والتحصيل. فبنوا الأسس الأولى لنظريات المعرفة الإسلامية في سائر علوم العصر. فقعدوا للفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة والبدع والبيان والرواية والقراءات وعلوم الحديث وملحقاته وعلوم التوحيد والعقيدة وعلوم التفسير والقرآن والمقاصد والرقائق والمواعظ والتاريخ والسير وغيرها.. من العلوم. حتى دب الوهن والضعف فيها منذ قرون خلت. فتنكبت الطريق الصحيح، وحادا البشرية

منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام وجعله خليفة له في الأرض ليعبده ويَعْمَر الأرض. وعلمه الأسماء كلها. وسخر له ما في السموات والأرض جميعا منه. وفضل على كثير من خلق تفضيلا بالعلم والمعرفة والحرية والإرادة والاختيار وحسن الخلق والهيئة وغيرها. تقرر في ذلك الناموس الإلهي يومها سنة كونية حياتية مفادها: أن الحياة السوية الموصلة لتحقيق رضوان الله تعالى في الدنيا والآخرة لبني البشر هي تلك المعيشة القائمة على طلب العلم والمعرفة. استناداً لقوله تعالى وهو يرسي دعائم هذه السنة الإلهية: «وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين* قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم» (البقرة: ٣١، ٣٢). لأن العلم والمعرفة بالله وبآياته هما السبيلان الوحيدان الموصلان إلى كل سوي ومستقيم وفاضل وإيجابي وسعيد في الدنيا والآخرة. ومن دونهما يتقرر الجهل والفراغ والوهم والخيال والأحلام والأمانى الكاذبة.. وتتفرع عنها سائر الأسقام الجسمانية والروحانية والمعنوية والحياتية. ومن ثم الانحراف عن خط الفطرة السوي الذي فطرهم عليه سبحانه وتعالى يوم فطر السموات والأرض. وبموجبها يصير الفرد والمجتمع تابعين وخاضعين للأقوى الأخذ بالسنن والعمل بالنواميس.

وظلت هذه السنة الحتمية تقرر في بعثات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى كتبتها الرسالة الخاتمة كقانون

وطلب العلم والمعرفة عبر سائر وسائلها وبواباتها وبنابيعها المختلفة (المكتوبة، المسموعة، المرئية، المعيشة.. التاريخية والحديثة والمعاصرة، الأفقية والعمودية، الأصيلة والوافدة، التقليدية والإلكترونية، الورقية والشبكية..). وتقرر على إثرها أن الأخذ بالسنن والنواميس الإلهية هو السبيل الأوضح للنهضة والتقدم، وقيادة وتوجيه أو استبعاد الآخر الضعيف.

ومع حالة العثار القيمي والحضاري التي تعيشها أمتنا العربية والمسلمة منذ أكثر من قرنين حَلَبًا، ومع محاولات الدعاة والمصلحين وشلالات الخطابات والتجارب والمحاولات الإصلاحية والنهضوية المتباينة التي انبثقت لتضخ دفقات من الأوكسجين وشحنات من الدماء والغذاء والشباب والحيوية.. في هذا الجسد الإسلامي الخامل والمتربع على أغنى وأكبر وأهم بقعة جغرافية في العالم، ومع تعدد الخطابات والتجارب النهضوية التي حاول نفخ الروح في أمتنا، برز خطاب تفعيل القراءة في أفراد الأمة كأحد روافد بعثها وإعادة إحيائها، وتعزز ذلك بفتوحات المناهج البحثية الميدانية والتجريبية، التي أثبتت أهمية ممارسة فعل القراءة كعامل حيوي وإحيائي لهذه الأمة المتعثرة، إذ يهدف بالأساس إلى تغطية مساحات الفراغ المعرفي والعلمي والثقافي في عقول ووجدان وسلوك الفرد العربي والإسلامي الخامل، الذي عشتش فيه الجهل والفراغ والوهم والخيال الحالم والأمانى الكاذبة، وتولدت عنه أمراض جسدية مُثَبِّطة، وأسقام وجدانية مخزبة، وعقد نفسية كبيرة ومستعصية، أحرَّت هذه الأمة عن اللحاق بالركب العالمي، الذي فرغ من عصر العلم والاكتشافات العلمية في القرن العشرين، ودخل عصر تسخير قوى الطبيعة لصالحه في القرن الواحد والعشرين.

ومع الفورة العلمية والبحثية والمعرفية والتقنية والإلكترونية الحديثة التي وجب الاستفادة منها في بعث هذا الجسد الخامل، ومع حركة تراكم العلوم والمعارف والمناهج والتجارب تقرر لدى أهل الاختصاص منذ أمدٍ بعيد - كما تقرر في السنن والنواميس الكونية الإلهية منذ الأزل - وفي كل ميادين الحياة الإنسانية المتنوعة: العلمية والأدبية والثقافية والاجتماعية والتربوية والنفسية والاقتصادية والسياسية.. أن الجهل هو السبب الرئيس والعامل المركزي والفعال في تردي أوضاع الفرد النفسية والوجدانية والسلوكية والحياتية، وأنه الباعث الحقيقي لتداعي شؤون الجماعة وارتباك شبكة نسيجها القيمي والتواصلي، وأنه هو الدافع الوحيد والمؤثر لاضطراب أحوال المجتمع الأخلاقية والتربوية والسلوكية والحضارية، وأنه المفعَّل القوي لاهتزاز أحوال الكيان الجمعي لأي أمة من الأمم على جميع الميادين الحياتية والمستويات الحضارية.

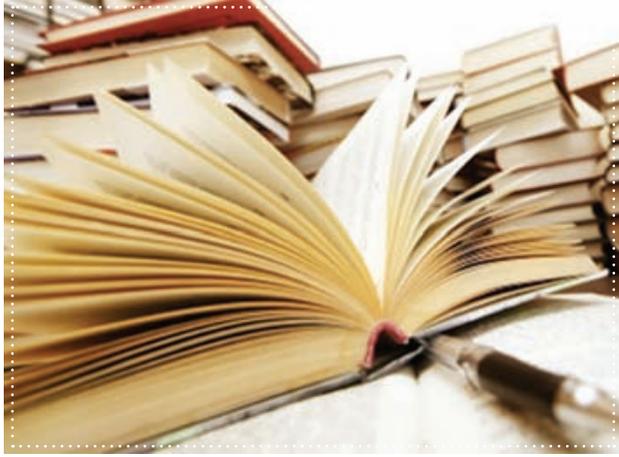
فقد أثبتت وأفادت خلاصة الدراسات العلمية والبحثية والمنهجية والتجريبية النظرية والميدانية التي قام بها علماء النفس والاجتماع والأخلاق والسلوك - عند الآخر وفي منظومتنا



أفواهم وظاعنون آخرون، أخذوا رحيق وعصارة وحنان ودفء الثقافة والحضارة العربية الإسلامية الزاهية إبان الحروب الصليبية والمغولية (٤٩٥-٦٦١هـ - ١٠٩٥-١٢٦٠م) والتترية (٨١٠هـ - ١٤٠٢م) وإبان موجة الاستعمار الحديثة (١٢١٣ - ١٣٨٥هـ - ١٧٩٨-١٩٦٢م).. وبنوا عليها نهضتهم العلمية والمعرفية والثقافية والأدبية والمنهجية بالقراءة الأفقية والعمودية الواعية، وتقدموا الركب العالمي غير أبيهين بأحد، وصاروا يخططون للمشهد الكوني وفق رؤيتهم العلمية الجافة والعارية عن القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، هذه النهضة اللاهثة وراء الكسب والتكديس والتكاثر والعبء من القيعنة والسراب الترابي.

وأعلنوا أن القرن الواحد والعشرين هو قرنهم ومجال جبروتهم وحكمهم وسيادتهم، وهو قرن السيطرة التامة على الطبيعة وتسخير سائر ثروتها وموجوداتها ومخلوقاتهما ومُسَخَّرَاتِهَا بمن وما فيها، ومن وما عليها، وبسيطرتهن التامة عليها في: البر والبحر والجو، بما امتلكوه من علوم حيوية وجبارة ك (علم الذرة، وعلم الكومبيوتر، وعلم فك الشفرة الوراثية، وعلم الهندسة الجينية، وتكنولوجيا الميكنة والاتصال)، وما كان يتأتى لهم ذلك لولا بحثهم العلمي الدائم، وحرصهم الحضاري العالي المستوى، ولولا أخذهم بالنواميس والسنن الإلهية التي لا تجامل متعبدا، ولا تخابي متدينا، ولا تُقصي مُلحدا، ولا تتودد لكسول متنسك.

وَفَعَّلُوا بقوة فعل القراءة التحليلية الواعية والعميقة بين مختلف مواطنيهم وفئاتهم ونخبهم وشرائحهم الاجتماعية، عبر سائر القطاعات والميادين والمستويات.. وغرسوا في ناشئهم منذ الصغر (عقدة السيطرة والهيمنة) على الآخر، سواء أكان قويا أم ضعيفا، بواسطة الفاعلية والدرية الناجعة والمستمرة في مختلف فئات ومكونات الأمة الحية، وبفضل التحكم العالي في تمهيرات الآليات والطرق والمناهج المختلفة، وتفعيل القدرات العقلية والنفسية والوجدانية والسلوكية والجسدية، وامتلاك الحد الأعلى من المهارات والاستواء عليها، وعدم الاكتفاء منها بالحدود الدنيا، وفي مقدمتها مهارة القراءة



والمكوث الحضاري. وبالتالي فهو محروم - أساسا - من تلقي التكوين النفسي والاجتماعي والعقلي والروحي والسلوكي الكافي والمناسب للنهضة بجماعته الأولية. ثم النهضة بجمتمعه. فكيف به الاضطلاع بمهمة النهضة بجماعته ومجتمعه وأتمه. وهو يفتقر إلى تلك المقومات النهضوية؟ وبالتالي فهو يعطي مجتمعه وأتمه ما أعطته وغذته به صغيرا. وهذا من باب جدلية حاجة الفرد للمجتمع وحاجة المجتمع للفرد.

وتفيد الدراسات النفسية والاجتماعية والأخلاقية السلوكية الميدانية الحديثة والمعاصرة أن الفرد يحتاج أثناء مرحلة التنشئة الاجتماعية المبكرة - واللاحقة - إلى امتلاك آليات الدربة والمهارة والخبرة العلمية والحياتية النظرية والعملية التطبيقية الكافية ليكون فردا إيجابيا وصالحا وناجحا ومتوازنا. بما في ذلك التمهّر على فعل القراءة والتكوين والتحصيل العلمي والمعرفي المناسب والفَعَال. وأحيانا يتلقى كل ذلك التكوين السوي والكافي في المراحل العمرية المناسبة. ولكن النتائج المرجوة - للأسف - منه تكون عكسية. وذلك لتدخل الكثير من العوامل الخارجية المربكة. والتي تفقده توازنه وإيجابياته البناءة. ولا سيما بعد طغيان الموجة الاتصالية والثقافية الإلكترونية السدمومية المعاصرة. التي أنت على كل تكوين وتأطير لحساب المسيطر والراهن العولي الوثني.

والسؤال المركزي الواجب طرحه هنا. ولا سيما ونحن ندعو إلى إعادة الاعتبار لممارسة عملية القراءة كفعل حيوي ضروري ومقدس ومهم لكل محاولة تطلعية نهضوية أنية ومستقبلية. مستحضرين أمام ناظرينا عوائد ومنافع تلك الممارسة الأفقية والعمودية الزمانية والمكانية الأتية والمستقبلية على الفرد والجماعة. وما هي مكوناته (السؤال) الأساسية التي يجب أن ينطلق منها وهو يؤسس مجددا لهذه العملية كلها. والمفترض أن يكون على الشكل الآتي:

لماذا. وكيف. ولِمَ. ومتى. وأين. وعلام. ومِمَّ. وما. وبأي منهج.. نقرأ.

العربية الإسلامية - طيلة عقود من الزمن البحثي. على أن سيطرة الجهل والفراغ وحلم الخيال الواهم والأحلام الكاذبة وغيرها.. على العقل والوجدان. وفقدان الحد الأدنى والضروري من الخبرة العلمية والمعرفية والثقافية والأدبية والأخلاقية والسلوكية اللازمة للفرد وللجماعة.. أثره المدمر على عقول ونفسيات الأفراد الباحثين. ولعله كان السبب الرئيس لتداعي البنية النفسية والوجدانية والشعورية والسلوكية للفرد وللجماعة المتخلفة. المبعثرة بين مرجعيتين (المقدس والوضعي). وبين زمنين (الماضي والحاضر). وبين مزاجين (العبودية والاستعباد). وبين وجدانيين (الحب والكراهية). وبين نمطين (الفوضى والنظام). وبين نسقين (التقليد والمعاصرة). وبين شخصيتين مختلفتين (حميمية وعدوانية). وبين.. وبين..

إذ يقوم عامل الفراغ المعرفي والثقافي بدوره الخطير في تشتيت البنى التصورية والعقلية للفرد الجاهل. وضرب خطوط التواصل الوجداني السوي والطبيعي الإنساني مع الذات والآخر. وخلق أُمَاط مَرَضِيَّةٍ وغير سوية للسلوك الإنساني. تخضع بالدرجة الأولى لتضخم عقدة (الدّهان): اعتقاد الفرد قدرته معرفة وإتقان كل شيء. وأنه هو المصيبُ دائما والآخرين مخطئون دائما). وتفعيل عوامل الجهل والفراغ وجنوح حلم الخيال الواهم. وتراكم جملة من الأسقام النفسية الدفينة ك (عقدة التبعية للقوي وتقليده. وعقدة القابلية للاستعمار. وعقدة الدّهان. وعقدة النكوص الزمني. وعقدة استعداد الذات. وعقدة التلاشي مع الآخر. وعقدة العدمية. وعقدة اللامبالاة الأثانية. وعقدة الانفصام..). ونحوها من العقد. في تشكيل شخصية الفرد المتخلف.

ويُعزى السبب الرئيس في ذلك كله إلى فقدان آليات التكوين والتمهّر والتوجيه والتحكم (الاجتماعي-نفسية-جسمي-اجتماعي ونفسية جسمي). أثناء مرحلة التنشئة الاجتماعية والنفسية والسلوكية المبكرة. والتي لها الدور الاستراتيجي والفعال في عملية صياغة فرد سوي وإيجابي وقادر وحركي ومنتج. وفي صناعة شبكة اجتماعية سوية ومستنيرة وإيجابية ومنتجة. قائمة على العلم والمعرفة والثقافة الاجتماعية المترنة. وممارسة فعل القراءة المقدس. الذي هو سبيل صناعة وتشكيل فرد مُكْرَم. ممتلئ بالقيم والمثل والمبادئ والأسس المعيارية السوية. القادرة على تكوين وملء وحكم وتوجيه عالمه النفسي والوجداني والعقلي والسلوكي السوي. والقَمِيَّة على توجيه مسار حياته السلوكي والإجْازي الحضاري البناء والفعال داخليا وخارجيا.

إذ يفتقر الفرد عندنا بفعل تفكك وضعف وهنثاشنة وعدم انسجام خطابات المنظومات التكوينية والتأطيرية والتعليمية والتربوية والاجتماعية والإعلامية والدينية المختلفة لكل المقومات الأساسية للخروج به من دائرة الاحتجاج والانفعالية والارجال والفوضى.. والرقى به نحو عالم الشهود النهضوي

وممارسة فعل القراءة؟

مستبعدين بداءة تساؤلات الشك كـ (هل نقرأ أم لا)؟ لأننا نعتقد جازمين أنه فرض ديني وواجب شرعي مقدس يجب مباشرته بمجرد كوننا مكلفين أولاً. وامتلاكنا آلياته وأدواته ثانياً. وأنه السبيل الوحيد الذي وضعه أمامنا الشارع الحكيم لتحقيق مناسبات وظيفية الاستخلاف في الأرض.

وقبل أن نرتاد ميادين الحياة الناهضة، والتي تتحقق في شكلها اليهودي بالقراءة التحليلية الواعية، ننتقي إجابة لأحد أعمدة الأدب العربي الحديث الأديب المفكر الإسلامي (مصطفى صادق الرافعي ت ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م) الذي يبين أهداف القراءة وهو يوجه القراء، ويحدد لهم الأهداف القريبة والبعيدة من ممارسة فعل القراءة. إذ يقول: (.. ليكن غرضك من القراءة اكتساب قريحة مستقلة، وفكر واسع، وملكة تقوى على الابتكار، فكل كتاب يرمي إلى إحدى هذه الثلاث فاقرأه).. فالقراءة عنده تستجمع ثلاث خصال رئيسية، هي: تلك الممارسة التي يزكو من خلالها القارئ ويثدو في تكوين ملكة وقريحة مستقلة غير تابعة وغير مقيدة بالآخرين. وهي تلك الممارسة التي تمكّن القارئ من امتلاك فكر واسع، حيث يتعامل مع عقول وأفكار غيره، وهي تلك الممارسة التي تنمي في القارئ ملكة الإبداع والابتكار.

لأن الله جبل الإنسان وركز في فطرته غريزة حب الاطلاع والاكتشاف والبحث والتنقيب، وزوده بالوسائل والأدوات اللازمة لتحقيق وإشباع تلك الغرائز. وقد رتب ونظم أعضاء الإنسان حسب أهميتها وقيمتها، ووضعها وفق تنظيم محكم، فجعل الرأس في الأعلى والبطن في الوسط من الجسم، ولذلك لما سئل المفكر الإسلامي العالمي مالك بن نبي -يرحمه الله- عن اللحظة المناسبة لخروج الأمة العربية والإسلامية من نفق التخلف، أجاب قائلاً: «يوم أن ترتب الأشياء وفق ما رتبها خالقها سبحانه وتعالى، فعندما نذهب إلى السوق ونملأ السلة بالخضار والفواكه واللحم، ثم ننعطف إلى المكتبة فنقتني كتاباً أو مجلة أو جريدة، ثم نضعها فوق سلة الطعام، ونعود إلى بيتنا، ونحن نفكر كيف وضع الله الرأس فوق البطن، ونشعر بحاجة عقلنا ورأسنا إلى الغذاء كحاجة جسدنا للطعام، وإلا تحولنا إلى مجرد آلات هضمية يمكن استعبادها والتحكم فيها» (حوار مالك بن نبي مع تلاميذه بمدرسة تهذيب البنين والبنات بتبسة سنة ١٩٣٦م، نقلًا عن الأستاذ المرحوم العربي عثمانى التبسي ت ٢٠٠٠م، في حوار أجرته معه بتبسة شهر جوان سنة ١٩٩٧م، إذ درسهم الأستاذ مالك الرياضيات والفيزياء لعدة أيام فقط ثم اختلف مع مدير المدرسة الشيخ العربي التبسي ت ١٩٥٧م وغادرها إلى فرنسا).

ولا ننسى أن نتساءل أيضاً عن منافع القراءة الحضارية وعوائدها على الفرد والجماعة والكيان، ونقول: هل الفوضى الصحية والغذائية الخطيرة والاضطرابات المرضية والوبائية المذهلة التي نعيشها اليوم نتيجة للقراءة الصحية الواسعة

والشاملة، أم هي نتيجة للجهل؟ وهل لو كنا نملك ثقافة صحية وغذائية صحيحة ومتوازنة وشاملة كانت تنتشر فينا كل هذه الأمراض المزمنة كـ: السكري وضغط الدم والسمنة المفرطة وتصلب الشرايين والفشل الكلوي..؟ أعتقد لا، لأن من يملك ثقافة صحية دينية أم وضعية -وكلاهما يلتقيان- يعرف حقائق الأطعمة والأغذية والأزمنة ونحوها كالقناعة والكفاف والزهد... وغيرها من الأدب النبوي الشريف في عالم الصحة والغذاء، وسيعرف أن السبب الحقيقي لهذه الفوضى الوبائية بسبب الجهل بالثقافة الصحية الدينية والوضعية اللازمة، التي تأتي من القراءة وروافدها.

كما نتساءل أيضاً: هل لو كنا نملك ثقافة نفسية متوازنة عن عالم النفس الإنساني اللطيفة، وعن عالم الروح والوجدان والمشاعر والأحاسيس، وعن مختلف الأسقام والعقد النفسية.. كنا نفضح أنفسنا من خلال ممارساتنا السلوكية اليومية التي تبرز عقداً نفسية للعيان؟ أعتقد لا، لأن من يملك ثقافة عن عالم النفس الإنساني عموماً، والمسلمة (المظلمة، المرينة، الكليمة، اللوامة، السوية، المطمئنة..) خصوصاً، لاهتدى بإحدى المرجعيتين (الدينية، الوضعية) إلى جملة التكاليف والحاذير والمأمورات والمنهيات والمستحبات والضروريات.. أو للعقد الكثيرة المسكونة في هذه النفس العجيبة، مصداقاً لقول الناظم:

وتزعمُ أنك جرمٌ صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

وسيهتدي لا محالة إلى الطريق السوي عن طريق التعلم والقراءة والاطلاع وروافدهما وغيرهما من المهارات..

كما نتساءل أيضاً: هل لو كنا نملك ثقافة دينية سوية عن طريق القراءة الواعية وروافدها المختلفة (الحلقات، الدروس، المحاضرات، المؤتمرات، الندوات، المساجد، الكتب، المكتبات، الأمسيات الأدبية والدينية، القنوات الفضائية، مواقع الشبكات الإلكترونية..) كنا نقع في هذه الفوضى الدينية؟ أعتقد لا.

كما نتساءل أيضاً: هل لو كنا نملك ثقافة سياسية وتعليمية وتربوية وتاريخية وأدبية وفنية وإعلامية و.. سوية عن طريق القراءة الواعية وروافدها المختلفة، هل كنا نقع ضحية الفردانية والشذوذ والتشردم والفوضى والدمار والاقتتال والحرب الأهلية، ومهلكة الهوى المتبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، والشح المطاع، الذي أنبأنا به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام؟ أعتقد جازماً، لا، لأن القراءة هي العلاج الناجع لأمراض أمتنا المزمنة.

وهل كنا ننتظر أن يستشرف لنا هذا الفيلسوف والمفكر الفرنسي «فولتير» قبل قرنين ونصف (١٧٨١م) يوماً عن سيقودون الجنس البشري مستقبلاً، فأجاب قائلاً: «الذين يقرأون، والذين يعرفون كيف يقرأون؟». أعتقد لا، لو كنا نسير على خطى الحبيب عليه الصلاة وأتم التسليم، الذي أمرنا بما أمره به ربه حين قال له ذات يوم في غار حراء: (اقرأ).

النص الدلالة والتحويلات

أ.د. مرزوق العمري

كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة - الجزائر

المحيط: «نصّ الحديث إليه رفعه» (٢). والنص بهذا المعنى إدراك النسبة بين الشيء ومصدره الأول. وورد في لسان العرب: «النصّ الإسناد إلى الرئيس الأكبر» (٣).

٢- النص بمعنى التحريك: التحريك هو المعنى الثاني الذي ترد به كلمة النص سواءً بصيغتها المصدرية أم بمشتقاتها. فكلمة «النص» في لسان العرب وردت بمعنى التحريك (٤). وتتضمن بهذا المعنى السير الشديّد. وهو ضرب من الحركة والتحريك ومنه قول القائل: وتقطع الخرق بسير نصّ. وبمعانيها الاشتقاقية أيضا تدل على المعنى نفسه: فمثلا كلمة «نصنص» تعني حرّك. فيقال: نصنصت الشيء: أي حرّكته والنصنصة هي حرّك البعير إذا نهض (٥). ومنها أيضا كلمة (النصيص) التي تعني السير الشديّد والحث (٦). وفي القاموس المحيط: «نص الشيء أي حرّكه» (٧).

٣- النص بمعنى الوقف والتعيين: ترد كلمة (النص) للدلالة على الوقف والتعيين كأن يكون النص تعيينا لمعنى محدّدًا للفظ ما لا يتعداه. ولهذا يعرف اللفظ الأحادي الدلالة بأنه «نص» (٨) ومنه قول المسلمين: النص القرآني. والنص النبوي. واصطلاح علماء الشريعة على هذا وذلك مصطلح «النص الشرعي» ووصف هذه النصوص بأنها نصوص شرعية تعيين لها حتى تتميز عن غيرها من النصوص الأخرى. فتصبح دلالتها متوقفة على ما تلقاه المسلمون عن الشرع الإسلامي. وفي تاج العروس: «النص: التعيين على شيء ما» (٩). وقد وظف العلماء المسلمون النص بهذا المعنى في مختلف العلوم الإسلامية كأصول الفقه. والتفسير. والفقه... وغيرها.

ففي مجال أصول الفقه يذكر الغزالي في المستصفى أن أشهر معاني النص ما لا يتطرق إليه احتمال أصلا لا عن قرب ولا عن بعد (١٠). ونفي الاحتمال تحديداً لمعنى محدد وتعيين له دون سواه. كما نجد في مجال التفسير: الزمخشري يوظف النص للدلالة على الحكم في مقابل المتشابه والاحتمالي. ووظف بنفس المعنى في الخطاب الصوفي عند ابن عربي في الفتوحات المكية (١١). كما أن المعنى نفسه يستفاد من كلمة الوقف: فترد كلمة النص بهذا المعنى الذي يرادف التعيين في لسان العرب: «والنص التوقيف» (١٢). ومنه كلمة الوقف في النظام الإسلامي.

تشهد الدراسات الإنسانية تحولات متسارعة لها من التأثير الكثير على الوعي وعلى اللغة وعلى الأفق المعرفي. ولذا يجد المتتبع لمسار المعرفة توظيف جهاز مفاهيمي متميز باعتبار المصطلح آلية قراءة. من هذه المصطلحات مصطلح النص الذي كان سائداً في كتابات المسلمين. لكنه في الدراسات المعاصرة تغير الاهتمام به إلى أن غدا النص علماً مستقلاً. وهذا بفعل التحول الذي عرفه علم اللغة المقارن (الفيلولوجيا). ليست المسألة متوقفة عند هذا الحد بل لما راحت تناقش في ضوء هذا المصطلح ثنائيات: الدين/ العلم. المقدس/المدنس. الكاتب/ القارئ... وما ارتبط بذلك من خطابات.

من هنا يكون تناول مفهوم النص من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية ثم طرحه في الموروث الإسلامي والدراسات المعاصرة أمراً يفرضه الواقع المعرفي.

أولاً: النص في اللغة:

النص لغة كلمة تدل على معان متعددة. وتخصر المعاجم العربية الجذر الدلالي لكلمة النص في حقول دلالية خمسة. بتكاملها تحدد المفهوم النظري للنص. وهي: الرفع. التحريك. التقصي. الوقف. المنتهى.

١- النص بمعنى الرفع: ترد كلمة (النص) في اللغة العربية بمعنى الرفع حسياً كان أم معنوياً: حسياً على النحو الذي يتعلق بحركة الأبدان والأعضاء بغرض أداء عمل ما. ومنه قول العرب: نصت الظبية جيدها أي رفعتها. والظبية ترفع عنقها لتمتكن من رؤية أكبر مسافة تتاح لها. ومنه أيضاً قولهم: نصّ الدابة بنصها: أي رفعها في السير ومن هذا المعنى مشتقات الكلمة مثل كلمة منصّة. وهي المكان المرتفع الذي يرفع من يقف عليه ويجعله بارزاً ظاهراً. وتصبح رؤيته أمراً سهلاً متاحاً كمنصة العروس: وهي المكان الذي يجلس عليه العروس كي ترى. ومنه أيضاً كلمة (النصّة) التي توظف للدلالة على هذا المعنى الحسي. إذ إنها تعني ما علا من شعر الجبهة. ومن هذا المعنى أيضاً «نصّص» وتعني رفع. ويقال نصصت الشيء أي رفعته (١). أما دلالة الكلمة المعنوية فترد كلمة «نص» للدلالة على الرفع بمعنى الإسناد. كإسناد الكلام إلى قائله ورفعته إليه: أي نسبته إليه. فيقال: نصّ الحديث ينصه نصّاً أي: رفعه. وفي القاموس

فالوقف يعني: تنازل الرجل عن جزء من ممتلكاته وتعيينه لهذا المتنازل عنه بأنه وقف في سبيل الله، فحينما يكتب كتابه بخصوص هذا الوقف يكون بذلك قد نص على أنه حبس ووقف في سبيل الله.

٤ - النص بمعنى المنتهى: وهو المعنى الرابع الذي ترد به كلمة (النص) في اللغة العربية، إذ تعني كلمة النص غاية الشيء وأقصاه، ففي لسان العرب: أصل النص أقصى الشيء وغايته. وفي اللسان أيضا: نص الأمر شدته (١٣) ومنه قول الشاعر:

ولا يستوي عند نص الأمو

رباذل معروفه والبخيـل

وقد تمثل صاحب القاموس المحيط (النص) بهذه الدلالة فيما يروي عن الإمام علي رضي الله عنه: «إذا بلغ النساء الحقائق أو الحقائق فالعصبة أولى» ويعلق شارحا أي بلغن الغاية التي عقلن فيها على الحقائق وهو الخصام أو حوق فيهن فقال كل من الأولياء أنا أحق أو استعارة من حقائق الإبل أي انتهى صغرهن (١٤). وقيل: «نص الحقائق منتهى بلوغ العقل» (١٥). من خلال هذا نجد أن كلمة النص ترد بمعنى المنتهى وغاية الشيء ببلوغه مستوى النضج والتمام.

٥- النص بمعنى التقصي: وبهذا المعنى وردت كلمة النص في لسان العرب، يقول ابن منظور: «نص الرجل إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده (١٦) وهو معنى يوحى ويدل على الإحاح في السؤال حتى يتسنى للسان استقصاء ما يملكه المسؤول من المعلومات فيطلع عليها. من خلال هذه المعاني المتعددة لكلمة «النص» ندرك بأنها عرفت تطورا دلاليا في اللغة العربية يصنفها البعض على أساس دلالتها الحسية والمعنوية كما يلي:

- الدلالة الحسية.

- الانتقال من الحسي.

- الانتقال إلى المعنوي.

- الدخول إلى الاصطلاحي.

وإن كان هذا التصنيف لمراحل تطور دلالة (النص) قد أهمل بعض المعاني مثل دلالة الكلمة على الغاية والمنتهى وجعل من دلالتها على التوقيف اصطلاحية لا لغوية.

لكن الأمر الذي استفاده البحث اللغوي المعاصر هو دلالة المعاني السابقة على مسائل متعددة هي أدوات ومنافذ لدراسة النص في صورته المعاصرة. مثل دراسة ميشال فوكو (Michel Foucault) القاضية بإثبات مكونات أركيولوجية للنص (١٧). فمثلا دلالة النص على الرفع توحى بتجلية الدلالات والغوص في البنية العميقة: لأن الحفريات الفكرية تؤكد لنا بأن مستويات النص طبقات، كلما تم الحفر عن طبقاته تعددت احتمالاته. وانفتحت دلالاته. وهذا ما يتيح للقارئ الغوص في بنيته العميقة. أما دلالة النص على التحريك فإنها توحى بالقراءة الحترفة التي تقتضي التأويل: لأن التأويل سعي لتحديد الدلالة وهي أمر صعب لأنه يتوقف على القراءة، والقراءة قد لا تكون

موفقة: لأن المعاني لا يمكن حديدها بدلالة نهائية. لأن المساءلة مستمرة. ومن ثم فالأمر يقتضي خريكا مستمرا. خاصة إذا عرف أن العملية ليست نخبوية بل هي عامة وقد كان الجاحظ يقول: المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي (١٨).

أما دلالة النص على التقصي فإنها توحى بمساءلة النص وكيفية النفاذ إليه. ومن هذا المعنى تم استنباط النظرية التي تعلن موت الكاتب وميلاد القارئ، وهي رؤية تؤكد انفتاح الدلالة واستحالة حديدها. ودلالة النص على التقصي تدل على ذات العناصر التي يقوم عليها الكلام في جدليته الاتصالية بين المرسل والمتلقي كما يحددها نظام الخطاب الذي يقضي بوجود شخصين على الأقل: مستجوب ومستجوب. فيصدر السؤال من الأول والإجابة من الثاني. ويتخذ السؤال بعدا استفزازيا حتى يستقصي السائل كل ما عند المستجوب. ولذلك فدلالة التقصي توحى بمساءلة النص والاطلاع على مضمونه. ودلالة النص على المنتهى توحى هي الأخرى بإمكانية بلوغ أقصى النص. وهكذا كانت هذه المعاني اللغوية مرجعيات للقراءة المعاصرة. وعلى ضوء هذا التحول يمكن استنباط المعاني الاصطلاحية لكلمة النص.

ثانيا: النص في الاصطلاح:

ففي الاصطلاح وردت تعريفات عديدة للنص، وهي على كثرتها يمكن تصنيفها إلى صنفين اثنين: أحدهما: النص في اصطلاح العلماء المسلمين، والثاني النص في اصطلاح الدراسات المعاصرة.

١- النص في اصطلاح العلماء المسلمين:

أما النص في اصطلاح العلماء المسلمين فقد كانت له تعريفات متعددة تبعاً لمجال البحث الذي فرض فيه تحديد التعريف؛ ولذلك كان أغلب الاهتمام بهذا المعنى عند علماء أصول الفقه. فمثلا الإمام الشافعي يعرفه بأنه: «المستغنى فيه بالتنزيل عن التأويل» (١٩) وهو تعريف لا يصدق إلا على نص الوحي: لأن الوحي هو التنزيل الذي تضمن مسائل نص عليها وأبأنها وأمر بها، مثل الفرائض المختلفة فإنها مستوحاة من التنزيل. ولذلك حينما عرف الإمام الشافعي النص جعله أول أنماط البيان ومن هذه الأنماط: «ما أبانه خلقه نصا مثل جمل فرائضه. في أن عليهم صلاة وزكاة وحج وصوما. وأنه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ونص الزنا والخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير. وبين لهم كيف فرض الوضوء مع غير ذلك ما بين نصا» (٢٠).

ويعرفه الجويني بقوله: «النص ما لا يتطرق إلى فحواه إمكان التأويل... كما قال عنه أيضا: هو لفظ مقيد لا يتطرق إليه تأويل» (٢١). وهو تعريف يطابق فيه تعريف الإمام الشافعي من حيث هو دال على النص القرآني. وهذا لا يعني عدم اعتبار غير النص القرآني نصا؛ فالإمام الجويني يذكر أقسام النص بما يؤكد تجاوز الاصطلاح ليشمل غير القرآن فيقول: «ينقسم إلى ما ثبت

أصله قطعاً كنص الكتاب والخبر المستفيض، وإلى ما لم يثبت أصله قطعاً كالذي ينقله الأحاد ولا مجال للتأويل في النوعين «(٢٢)». ويفهم من هذا أن النص كان يطلق على مستويات متعددة أولها النص القرآني ثم النصوص الشارحة سواءً ما كان يتعلق بالسنة النبوية كنص شارح أول، أو بالنص التراثي كنص شارح ثان. ولعل هذا ما جعل بعض المعاصرين يعتبر النص دالاً على التنزيل والتأويل (٢٣).

وعلى ضوء ذلك تم تقسيم النص الديني أقساماً حصرت في قسمين أساسيين: النص الأول وهو القرآن الكريم، والثاني وهو النص النبوي. من جهة أخرى جدر الإشارة إلى مفاهيم أخرى يمكن أن تدرج ضمن دلالة النص مثل: الفقرة، الجملة، الكتاب، فكلها على علاقة بالنص. وقد كانت إشارات للعلماء المسلمين لبيان طبيعة العلاقة بين هذه المفاهيم الأربعة. فالجملة مثلاً يعرفها الجرجاني بقوله: «هي عبارة عن مركب من كلمتين. أسندت إحدهما إلى الأخرى» (٢٤).

والجملة بهذا المعنى ذي البعد اللغوي يمكن أن تصدق على مسمى النص. وتصبح الجملة بالتالي في بعض مستوياتها نصاً. مثلاً القاعدة الأصولية المتعلقة بإزالة الضرر، فإنها لا تعد أن تكون جملة من الناحية اللغوية يصدق فيها تعريف الجرجاني. فقد صاغها علماء الشريعة بقولهم: «الضرر يزال» وهي نص في إباحة إزالة الضرر الذي يمكن أن يتعرض له المسلم. أما الفقرة، فقد ورد في تعريفات الجرجاني أيضاً بأنها: «اسم لكل حلي يصاغ على هيئة فقار الظهر، ثم استعير هذا المعنى ليطلق على أجود بيت في القصيدة تشبيهاً له بالحلي. ثم استعير لكل جملة مختارة من الكلام تشبيهاً لها بأجود بيت في قصيدة» (٢٥). فالفقرة تتضمن أكثر من جملة. بل هي عدة جمل تشكل مضموناً متكاملًا. وقد استمدت الدلالة من شيء محسوس وهو الحلي المصاغ. ثم صارت تطلق على الكلام المنظم في شكل نص متكامل.

٢- النص في الدراسات المعاصرة:

في الكتابات المعاصرة ما يتطابق مع هذا المعنى. فالنص اشتقاقياً هو نسيج (٢٦). وهو بهذا المعنى يتجاوز حدود الجملة بالمعنى اللغوي. أما الكتاب وهو دال. دلالة أوسع من الجملة والفقرة. يطلق أيضاً ويراد به النص. وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك في حديثه عن المنطق الأرسطي حينما قال: «تكلم فيه المتقدمون أول ما تكلموا به جملاً جملاً ومفترقا ولم تهذب طريقه ولم تجمع مسائله حتى ظهر في يونان أرسطو فهذب مباحثه ورتب مسائله وفصوله. وجعله أول العلوم الحكمية وافتحتها. ولذلك يسمى بالمعلم الأول وكتابه الخصوص بالمنطق يسمى (النص) (٢٧). وهكذا نجد أن دلالة (النص) تطورت إلى أن صارت تطلق على كتاب بأكمله. ومن هنا يذهب الحداثيون إلى أن البحث عن مفهوم النص في المجال الإسلامي ليس في الحقيقة إلا

البحث عن ماهية القرآن (٢٨). إذ صار ينعت بالنص. فيرتب على أنه النص الأول رغم أن المصطلح لا وجود له في القرآن الكريم. كما اعتبرت العملية - إطلاق كلمة (النص) على كتاب بأكمله - هي بدابة النقلة الدلالية من المعنى القديم إلى المعنى الحديث (٢٩). والمعنى الحديث هو الذي جلى في الدراسات المعاصرة سواءً عند العرب أم عند الغربيين. أما عند العرب ففي إطار الأخذ بالنظريات الحديثة وتطبيقها على التراث العربي الإسلامي بصفتها نظريات قامت على أسس علمية تضمنتها العلوم الإنسانية في صورتها المعاصرة مثل: اللسانيات والسيميائية... ولذلك نجد التعريفات المعاصرة للنص مستوحاة من هذه المعارف. فقد عرف بأنه: «سلسلة من العلامات المنتظمة في نسق من العلاقات تنتج معنى كلياً يحمل رسالة وسواءً أكانت تلك العلامات علامات باللغة الطبيعية - الألفاظ - أم كانت علامات بلغة أخرى فإن انتظام العلامات في نسق يحمل رسالة يجعل منها نصاً» (٣٠).

وهذا التعريف يوظفه الخطاب الحدائثي العربي لا على أنه خاص به بل لأنه شائع في الخطاب الحدائثي عند الغربيين بمعناه الإيتيمولوجي أولاً، الذي يدل على أن النص معناه النسيج كما قال رولان بارث. ثم يحلل كلمة نص (Texte) ويؤكد أنها من أصل لاتيني وتعني النسيج (Textus) وفعلها (Texere) أي ينسج ثانياً ٣١. وعلى أساس هذه المرجعية اللغوية، تأسست تعريفات لغوية عديدة للنص عند الغربيين منها تعريف رولان بارث (Roland barthes) الذي عرفه بأنه: «السطح الظاهري للنتاج الأدبي نسيج الكلمات المنظومة في التأليف، والمنسقة بحيث تفرض شكلاً ثابتاً ووحيداً ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً» (٣٢). ويبدو من خلال هذا التعريف أنه ارتبط بمجال الأدب أكثر من غيره. ولذلك يذهب بعض الباحثين إلى أن الاهتمام بالنص كفضاء معرفي أو ما عرف فيما بعد بنظرية النص (La théorie du Texte) إنما مرده التطور الذي عرفته اللسانيات الحديثة، التي كانت تجلياتها على أكثر من مستوى:

- ١- بحكم اقترابها من المنطق عملت على إحلال معيار الصحة معيار الحقيقة.
- ٢- تخليص القول من حكم المضمون.
- ٣- اكتشاف الثراء والرقعة. وإلغاء الحشويات المتضمنة في المقال بواسطة تقريب دالي سيميائي.

ثم قام فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure) بوضع علم العلامات، وهو المنعطف الذي جعل الاهتمام بالنص يسعى في تحليل الخطاب إلى معرفة الوحدات البنوية للخطاب. ومن هنا جلت الحاجة إلى مفهوم النص كوحدة استدلالية سطحية أو داخلية. وبهذا يميز بين النص والفقرة: لأن النص يمكن أن يطابق جملة كما يمكن أن يطابق كتاباً بأكمله (٣٣). وقد مر بيان ذلك في تحديد المعنى اللغوي للنص. كما عرف النص بأنه

الكلمة التي تطلق على كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة... وأنه أيضا: إجاز فعلي للسان من طرف محدد (٣٤).
 إن هذين التعريفين خاصة التعريف الأول ينطلقان من استكشاف العناصر المؤثرة في النص والتي منها:
 ١- عملية التثبيت في حد ذاتها، فهي أمر مؤسس للنص.
 ٢- التمييز بين الكلام والنص؛ وذلك بالاعتماد على فعل القراءة، ولهذا يقول بول ريكور: «ما يتم تثبيته في الكتابة هو الخطاب باعتباره نية تقصد إصدار قول ما. وأن الكتابة هي تسجيل مباشر لهذه النية القصدية، حتى ولو ابتدأت الكتابة تاريخيا وسيكولوجيا بتسجيل خطي لرموز الكلام وإشاراته» (٣٥).
 ٣- الاستقلالية المميزة للقراءة هي التي تجعلها تأخذ مكان

الهوامش:

- ١- ابن منظور: لسان العرب المحيط. دار إحياء التراث العربي. بيروت. بلا تاريخ. ج ٧. ص ٩٧، ٩٨.
- ٢- الفيروزآبادي: القاموس المحيط. دار العلم للجميع. بيروت بلا تاريخ. ج ٢. ص ٣١٩.
- ٣- ابن منظور: لسان العرب. ج ٧. ص ٩٨.
- ٤- المصدر نفسه والصفحة.
- ٥- المصدر نفسه والصفحة.
- ٦- المصدر نفسه والصفحة.
- ٧- الفيروزآبادي: القاموس المحيط. ج ٢. ص ٣١٩.
- ٨- عبد الهادي الفضلي. مقال بعنوان: «النص الشرعي مفهومه وفهمه» مجلة الكلمة. العدد ٢٣. ص ٦.
- ٩- الزبيدي: تاج العروس. دار صادر. بيروت. بلا تاريخ. ج ٤. ص ٤٤٠.
- ١٠- الغزالي: المستصفى من علم الأصول. تحقيق: محمد سليمان الأشقر. مؤسسة الرسالة ط (١٩٩٧). ج ٢. ص ٤٨، ٤٩.
- ١١- انظر الكشاف للزمخشري في تفسيره الآية ٧ من سورة آل عمران. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ط ١ (١٩٧٧/٥١٣٩٧م). ج ١. ص ٤١٢ - ٤١٣. وانظر ابن عربي الفتوحات المكية. ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين. منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية بيروت ط (١٩٩٩/٥١٤٢٠م) ج ١. ص ٤٣٩ - ٤٤٠.
- ١٢- ابن منظور. لسان العرب. ج ٧. ص ٩٨.
- ١٣- ابن منظور: لسان العرب. ج ٧. ص ٩٨.
- ١٤- الفيروز آبادي: القاموس المحيط. ج ٢. ص ٣٢٠.
- ١٥- ابن منظور: لسان العرب. ج ٧. ص ٩٨.
- ١٦- ابن منظور: لسان العرب. ج ٧. ص ٩٨.
- ١٧- انظر بخصوص الاستفادة البحث اللغوي المعاصر من هذه المعاني. مجلة كتابات معاصرة العدد ٢٧. المجلد ٧. ص ١٦، ١٧، ١٨.
- ١٨- المحافظ: كتاب الحيوان. تحقيق: عبد السلام هارون. دار إحياء التراث العربي بيروت. ط (١٩٦٩/٥١٨٨٨م) ج ٣. ص ١٣١-١٣٢.
- ١٩- الإمام الشافعي: الرسالة. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر. المكتبة العلمية بيروت. بلا تاريخ. ص ١٤.

الكلام. وبالتالي تطابق ولادة النص (٣٦).
 ومن خلال تطابق الدالتين: (النص) و (الخطاب) تأسست تعريفات أخرى على أساس هذا التطابق في الخطاب الحدائي العربي المعاصر مثل: تعريف علي حرب الذي عرف فيه النص بأنه: «خطاب تم الاعتراف به وتكريسه. إنه كلام أثبت جدارته واكتسب فرادته وأصبح أثرا يرجع إليه» (٣٧). وهو تعريف يلخص التعريفات الأخرى العربية منها والغربية.
 هذه بعض التعريفات الواردة للنص بمعناه اللغوي أولا ثم بمعناه الاصطلاحي ثانيا عند المسلمين. وكذلك عند الغربيين. ومن خلال تتبع دلالة المصطلح وقفنا على مسارها التحولي إلى أن غدا النص في الدراسات المعاصرة فضاء معرفيا يعرف بـ: علم النص كما يقول بذلك الباحثون المعاصرون.

- ٢٠- المصدر نفسه. ص ٢١.
- ٢١- الإمام الجويني: البرهان في أصول الفقه. تحقيق: عبد العظيم محمد الديب. دار الوفاء. ط ٣ (١٩٩٢). ج ١. ص ٢٧٧، ٣٣٦.
- ٢٢- الإمام الجويني: البرهان. ج ١. ص ٣٣٦.
- ٢٣- انظر في هذا. طيب تيزيني. الإسلام والعصر تحديات وآفاق دار الفكر دمشق/بيروت. ط ٢ (١٩٩٩). ص ١١٠.
- ٢٤- السيد الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات. تحقيق: عبد المنعم الحنفي. دار الراشد. بلا تاريخ. ص ٨٨.
- ٢٥- الجرجاني: التعريفات. ص ١٩١.
- ٢٦- رولان بارث. مقال بعنوان: نظرية النص. ترجمة محمد خير البقاعي. مجلة العرب والفكر العالمي. العدد الثالث. صيف ١٩٨٨. ص ٨٩.
- ٢٧- ابن خلدون: المقدمة. تحقيق: حامد أحمد الظاهر. دار الفجر للتراث. القاهرة. ط ١. (٢٠٠٤). ص ٦٠٥.
- ٢٨- نصر حامد أبوزيد: مفهوم النص. المركز الثقافي العربي. ط ٥ (٢٠٠٠). ص ١٠.
- ٢٩- نصر حامد أبو زيد: النص والسلطة والحقيقة. المركز الثقافي العربي. ط ٤ (٢٠٠٠). ص ١٥١.
- ٣٠- المرجع نفسه. ص ١٥٩.
- ٣١- رولان بارث. مقال بعنوان: نظرية النص. مجلة العرب والفكر العالمي. ص ٨٩.
- ٣٢- رولان بارث. مقال بعنوان: نظرية النص. مجلة العرب والفكر العالمي. ص ٨٩.
- ٣٣- انظر مجلة العرب والفكر العالمي. ص ٩٢.
- ٣٤- بول ريكور. مقال بعنوان: ما هو النص؟ ترجمة منصف عبدالحق. مجلة العرب والفكر العالمي. العدد الثالث. صيف ١٩٨٨. ص ٣٧. وقد جعل المترجم المقال تحت عنوان: النص والتأويل.
- ٣٥- أنظر موسوعة أعلام الفلسفة. ج ١. ص ٥١٦.
- ٣٥- أنظر مجلة العرب والفكر العالمي. ص ٣٧، ٣٨.
- ٣٦- أنظر مجلة العرب والفكر العالمي. ص ٣٨.
- ٣٧- علي حرب: نقد النص. المركز الثقافي العربي. ط ٢ (١٩٩٥). ص ١٢.

حصيات الجهاز البولي

أسباب تكونها ووسائل معالجتها



د. حذيفة الخراط

المدينة المنورة

تعدُّ ظاهرة تكون الحصيات في الكلى والمسالك البولية في جسم الإنسان إحدى أكثر مشاكل الجهاز البولي شيوعاً. وقد سلط العلم الحديث الأضواء على تلك المشكلة، وكشف ستار الغموض عن الأسباب التي تقود إلى تكون مثل هذه الحصيات. وباتت وسائل العلاج الحديثة - الدوائية منها والجراحية - ولله الحمد من الأمور المتاحة، فلم تعد بعدها هذه المشكلة تؤرق البال كثيراً، كما كان الحال عليه قبل تطور الوسائل العلاجية تلك.

الجهاز دوره الرئيس في تنقية دم الجسم من السموم، كما أن له دوراً مهماً في الحفاظ على توازن الماء والمعادن بشكل دقيق. يضمن استمرار نظام الجسم دونما خلل أو اضطراب.

يدخل الدم الواصل إلى الكلية عبر الشريان الكلوي Renal artery محملاً بالسموم ونواتج عمليات التمثيل الغذائي. ومن خلال عمليات فسيولوجية وكيميائية معقدة تتم تصفية هذا

وحتى نفهم هذه الظاهرة المرضية يجدر بنا أن ندرك بعض الحقائق العلمية حول الجهاز البولي في جسم الإنسان. ووظائفه الحيوية التي يحقق من خلالها أعظم الفوائد التي تخدم صحة أجسامنا. فسبحان الذي أحسن كل شيء خلقه.

يتكون الجهاز البولي من الكليتين Kidney والحالبين Ureter والمثانة البولية Urinary Bladder والإحليل Urethra. ولذلك

في الجسم، مما يُفقد كمية كبيرة من مائه، وهو الأمر الذي يقود إلى تكوين البول المركّز الذي يُعدّ أفضل وسط لتكوّن الحصى. كما لوحظ وجود علاقة وطيدة بين غذاء الإنسان وإصابة جهازه البولي بالحصى. إذ أظهرت الدراسات أن الإكثار من تناول اللحوم يؤهل الجسم لتكوين حصيات المسالك البولية. ومن الملاحظات الغذائية الأخرى: أن المصابين بأعراض نقص فيتامين (أ) في غذائهم هم أكثر عرضة للإصابة بحصيات المسالك البولية. ويقود عدم تناول الماء بشكل كافٍ إلى إصابة الجسم بالحصى. ويظهر هذا جلياً في حالة حدوث المجاعات، وعدم توافر المياه الصالحة للشرب.

وثمة في المقابل أسباب أخرى ناجمة عن خلل أو مرض في جسم الإنسان، وتقود إلى إصابته بالحصى البولية، وأهم تلك الأسباب هو زيادة إفراز بعض الأملاح في البول. وبالتالي تتراكم فيه تدريجياً، ومع مرور الوقت تتكون الحصى. ومن هذه الأملاح: ملح الكالسيوم، ومن أهم أسباب زيادته في الجسم:

- ١- زيادة نشاط بعض غدد الجسم.
- ٢- الإكثار من تناول الأغذية الغنية بالكالسيوم، مثل: الحليب ومشتقاته.
- ٣- الإصابة ببعض الأمراض، كسرطان العظام وداء الكساح Rickets.

ومن الأملاح الأخرى: ملح الأكسالات Oxalate وتؤدي زيادة إفرازه إلى تكون حصى الأكسالات، وهي أكثر الحصى البولية شيوعاً. وتمتاز عن باقي الحصى بقوام صلب، وشكل غير منتظم، مما يؤدي إلى ظهور أعراض مرضية باكرة لدى المصاب.

ومن أسباب زيادة ملح الأكسالات في الجسم: الإكثار من تناول الأغذية الغنية به، كالطماطم والسبانخ والكاكاو، وتقود بعض الأدوية إلى ذات الأثر، ومثال ذلك: دواء Thiazide المدر للبول. كما أن لزيادة حمض اليوريك Uric acid في الجسم أثراً يعزز تكوين حصى اليوريك، ونتاج ذلك في العادة تكوّن عدة حصيات، إلا أنها صغيرة الحجم وملساء.

ومن أسباب زيادة نسبة حمض اليوريك في الجسم: تناول المفرط للأغذية الغنية بالبروتينات كاللحوم، وإصابة الجسم ببعض أنواع السرطانات، كما أن لبعض الأدوية الأثر نفسه.

ومن أسباب نشوء حصيات الجهاز البولي أيضاً: إصابة هذا الجهاز بالالتهابات، وبعض الأمراض الولادية، إلا أنّ هذه الأسباب تبقى أقل من سابقتها.

أعراض الإصابة بحصيات الكلى والمسالك البولية

يقود تكوّن الحصى في أحد أجزاء المسالك البولية إلى إعطاء صورة مرضية ذات ملامح مميزة. ويمكن تلخيص هذه الصورة بحدوث ألم، وظهور بعض قطرات من الدم في البول، وتختلف الملامح المرضية هذه من مريض لآخر، ويعتمد هذا على حجم الحصى المتكونة، وعلى موقعها، فحصى الكلى قد تكون لا عرضية، أي أن وجودها في كلية حاملها لم يسبب أية مضاعفات مرضية، إلا أن كثيراً من المرضى يشكون من ألم متقطع في منطقة الظهر، ويحدث على شكل نوبات من المغص، تزداد حدة مع تحرك المريض، كما



الدم، من تلك الشوائب التي سوف تتركز شيئاً فشيئاً، ومن ثم تُنقل عبر الحالبين إلى المثانة البولية، لتتجمع هناك على شكل سائل البول المعروف.

والمثانة البولية مخزن ذو قوام عضلي، يمكن له التمدد لحفظ سائل البول، وحينها يتم إرسال إشارات عصبية نحو الدماغ، ليقوم بتهيئة الجسم لإخراج ذلك البول، وتخليص الجسم من محتوياته من المواد الضارة. وهنا تحدث حركات خاصة في جدار المثانة، تقود إلى تقلصها، وبالتالي خروج البول عبر قناة الإحليل نحو خارج الجسم.

تتكون حصيات المسالك البولية - التي نحن بصدد الحديث عنها- في أي جزء من أجزاء الجهاز البولي، وبمرور الوقت قد تتحرك تلك الحصى من مكان لآخر، وتشير الدراسات إلى أنّ الكلية هي أكثر الأجزاء عرضة لنشوء الحصى البولية التي يشيع أن تتحرك من مكانها لتتنقل فيما بعد نحو الحالب أو المثانة أو الإحليل.

أسباب تكون حصيات الكلى والمسالك البولية

تنبع أسباب تكون الحصى البولية من مجموعتين رئيسيتين، ونتاج ذلك في المحصلة ظهور حالة مرضية ذات أعراض واضحة المعالم.

ووراء تكوّن الحصى البولية أسباب بيئية، وأخرى نراها داخل جسم الإنسان، ومن أهم الأسباب المتعلقة بالبيئة المحيطة بالإنسان: عامل المناخ، إذ يؤدي الجو الحار إلى تنشيط آلية التعرق

يشكو المريض ظهور بعض قطرات من الدم مصحوبة مع البول. وما يشكوه مريض الحصية أيضاً: إصابته بالأعراض الناجمة عن انسداد مجرى البول. كعسر التبول الذي تصبح معه عملية التبول مؤلمة، ويصحبها بذل جهد كبير في أثناء القيام بعملية إفراغ المثانة. كما يشكو المريض عدم إفراغ مثانته بشكل كامل. إذ يشعر بوجود بقايا من سائل البول في مثانته، ويتبع ذلك تعدد مرات التبول، وهو عرض شائع من أعراض إصابة الجسم بالحصيات.

كيف يتم تشخيص حصيات الكلى والمسالك البولية

يعتمد تشخيص الإصابة بالحصيات على المعلومات التي يُدلي بها المريض حول الأعراض التي يشكوها. وقد ذكرنا أن حدوث المغص، وظهور بعض الدم في البول، يُعزّز التفكير باحتمال تكون الحصية في الجهاز البولي.

ثم تأتي وسائل الفحص لتأكيد تشخيص الإصابة، ومن الوسائل المتبعة لخدمة هذا الغرض: فحص البول مجهرياً للتأكد من وجود كريات الدم الحمراء التي تدل على امتزاج الدم ببول المصاب. كما أن تصوير المريض باستخدام الأشعة يُعدّ من أهم وسائل تشخيص المرض، وتظهر الحصية بوضوح في غالب الحالات، وقد يمكن التعرف من خلالها على نوع الحصاة، فحصية الأكساليات مثلاً تظهر في الصورة بقوام خشن، وشكل غير منتظم، خلافاً لحصية حمض اليوريك ذات الحجم الصغير، والقوام المنتظم الناعم.

ومن وسائل التشخيص الأخرى المتبعة في هذا المجال: قياس نسبة الأملاح في الجسم، كقياس حمض اليوريك، إذ نلاحظ ارتفاع نسبته في حالة تكون حصيات اليوريك، ومن الممكن اتباع نفس الإجراء في حالة الأملاح الأخرى.

كما قد يساعد فحص المثانة عن طريق المنظار في كشف وجود الحصية فيها، وقد يكشف هذا الإجراء سبب تكون هذه الحصية، مثل وجود مرض ما في تلك المثانة.

علاج الإصابة بحصيات المسالك البولية

تهدف الخطوة الأولى من خطوات علاج حصيات المسالك البولية إلى تسكين الألم الشديد الذي يشكوه المريض، وينصح هنا المريض بالخلود إلى الراحة التامة في السرير، ومن ثم يُعطى مسكنات للألم، ثم يتم في المرحلة التالية تحديد نوع العلاج الذي تطلبه الحالة المرضية، فهناك حالات يمكن علاجها دوائياً، وأخرى قد تستدعي تدخلاً جراحياً، ويعتمد تحديد ذلك وفقاً لحجم الحصية، فالحصيات الصغيرة يمكنها الخروج عبر الإحليل بشكل سلس، أما في حالة الحصيات الأكبر حجماً، فيتعذر لها الخروج، وهنا يجب التدخل جراحياً بغية إزالتها.

تعتمد المعالجة غير الجراحية للحصيات البولية على إتاحة الفرصة أمام الحصية للخروج من الجسم، وفيها يوجّه المريض إلى تناول كميات وفيرة من مياه الشرب، بغية خريك الحصية من مكانها بشكل مستمر، وبالتالي توجيهها نحو الأسفل، وفي هذه الأثناء يتم إعطاء أدوية مضادة للتشنج، تعمل على ارتخاء الحالبين وتوسيعهما، مما يساعد أيضاً في إزاحة الحصية من مكانها.

ومن الضروري متابعة حرك الحصية من مكانها عبر الأشعة بشكل مستمر، فإن ثبت ذلك تستمر وسيلة المعالجة تلك، أما إذا اتضح أنّ الحصية ما تزال في مكانها دون حراك فإن الجراحة قد تصبح أمراً لا مفر منه.

ومن دواعي الجراحة الأخرى (بغض النظر عن حجم الحصية): شكوى المريض من الألم الشديد الذي يتعدّد معه إمكان انتظار نتيجة العلاج الدوائي، كما أن الإصابة بالحصيات المصحوبة بالتهابات المسالك البولية قد تستدعي كذلك تدخلاً جراحياً، وأخيراً فإن حدوث المضاعفات المذكورة سابقاً يمنع استخدام العلاج الدوائي، ليحل محله العلاج الجراحي.

ومن وسائل معالجة الحصيات البولية دون تدخل جراحي: تفتيت الحصية باستخدام الموجات، وهذه طريقة متطورة تخمي المريض من مخاطر العمل الجراحي، إلا أن بعض الحصيات لا يمكن معالجتها بهذه الطريقة، والطبيب المعالج هو الذي يقرر ما إذا كانت حالة مريضه تستجيب لهذا النوع من المعالجة أم لا.

وهناك الكثير من وسائل الجراحة المستخدمة لإزالة الحصية من الجهاز البولي، وتختلف تلك الوسائل وفقاً لحالة المريض العامة، ومكان الحصية وحجمها، ومن طرق الجراحة المستعملة: إزالة الحصية عبر الجلد وهنا يتم إدخال بعض الآلات الجراحية الدقيقة عبر الجلد الخارجي المحيط بمنطقة الكلية المصابة، ويتم سحب الحصيات الصغيرة نحو الخارج، أما الكبيرة منها فيمكن تكسيها إلى أخرى أصغر يمكن لها الخروج مع سائل البول.

ومن الوسائل الجراحية الأخرى: استخدام منظار الحالب والكلية، وهنا يتم إدخال ما يعرف بالشبكة، وهي آلة تستعمل لقبض الحصية وإخراجها.

وفي بعض الحالات المتأخرة (ولا سيما إن أهمل التشخيص والعلاج الفوري) تقوم الحصية بتدمير جسم الكلية، وتغدو بذلك هذه الكلية عديمة الجدوى والفائدة، وهنا فإن العلاج المفضل هو إزالة هذه الكلية المريضة، ويجب في حالات كهذه عمل فحص دقيق للكلية الأخرى للتأكد من سلامتها وقيامها بوظيفتها بشكل كامل قبل القيام بأي عمل جراحي.

الوقاية من تكون الحصيات البولية

من الشائع بعد علاج الحصيات البولية تكرار الإصابة بحصيات جديدة، ولذلك يترتب على المريض مراعاة بعض الأمور التي تقلل - بإذن الله - من احتمال تكرار هذه الإصابة.

والنصيحة الأولى في هذا المجال هي مراعاة شرب كميات وفيرة من مياه الشرب، وتزيد أهمية ذلك خلال فصل الصيف الذي تنشط فيه آليات التعرق في الجسم، كما أن المرضى الذين يمتنون مهناً تتطلب العمل في جو مشمس هم أكثر حاجة من غيرهم إلى كميات الماء الوفيرة تلك.

ومن الأمور المهمة الأخرى أن يقلل المريض قدر الإمكان من تناول الأغذية الغنية بالأملاح المكونة للحصيات، وقد ذكرنا تلك الأغذية سابقاً، كما يُنصح المريض بمراجعة الطبيب فور شعوره بأعراض تكون الحصيات، ويُسهم هذا في وقايته من مضاعفات تلك الحصيات، ويضمن تقديم العلاج بصورة أسرع.

رسالة من كاتبة مسيحية إلى النساء المسلمات

نقلها للعربية: حسن عديل

المصدر: مجلة Crescent and the Cross

التحتية بقصفهم لبلدانكن. لا أريد أن يحدث لكن ما حدث لنا. فسوف تعانين الذل والإهانة تماماً كما نعاني نحن النساء في الغرب. يمكن لكن تفادي ذلك النوع من القصف إذا أصغيت بعناية إلى أولئك النسوة من بني جنسنا اللاتي عانين إصابات خطيرة جراء التأثيرات الشيطانية لرجال الغرب. إن أي شيء ينتج في هوليوود ما هو إلا جملة من الأكاذيب، وتشويه للحقائق، وزيف، وصور عارية من الصحة لا تمت للقيم بصلة. بصورون العلاقات الجنسية العابرة كنوع من الترفيه غير المؤذي. إنهم يستهدفون النسيج الأخلاقي للمجتمعات بتصويب سمومهم عليها، رامين بذلك تدمير قيم تلك المجتمعات وأخلاقها. إنني أتوسل إليكن ألا تتجرعن سمومهم تلك.

إنه لا يوجد ترياق مضاد إذا ما جرعتن تلك السموم. فقد تتعافين جزئياً ولكن سوف لن تعود عافيتكن إلى ما كانت عليه. الأفضل دائماً أن تتجنبن تناول السم بدلاً من أن تعالجن الأضرار الناجمة عنه. إنهم يحاولون إغراءكن بأفلام الإثارة وأشرطة الفيديو والموسيقى، راسمين زوراً وبهتاناً لنا صورة نساء أمريكيات سعيدات وراضيات، وفخورات بلباسهن كالعاهرات، وقانعات بعدم الحق في تكوينهن للأسر. صدقنني، إن أغلبنا لا يعرف السعادة. والملايين منا يتناولن العلاج المضاد للاكتئاب، ويكرهن تلك الأعمال التي يقمن بها، ويتوسلن في الليل إلى الرجال الذين يدعون أنهم يحبوننا، ثم يتركوننا. إنهم يريدون أن يقتلوا فيكن رغبتكن الطبيعية في تكوين الأسر، ويقنعونكن بإجباب القليل من البنين. فهم يفعلون ذلك لإقناعكن بأن الزواج عبودية. وأن الأمومة لعنة. وأن الحشمة والعفة صارتا شيئاً من الماضي. يريدون لكن أن تفعلن كل ما يحط من قدركن، ولتفقدن إيمانكن. فمثلهم كممثل الثعبان في إغوائه حواء بالتفاحة. فلا تقضمنها!

قيمة الذات

إنني أراكن أحجاراً كريمة. وذهباً خالصاً، بل لآلىء ذات قيمة

هذه رسالة كتبتها الكاتبة والصحفية الأمريكية (جوانا فرانسيس) تخاطب بها المرأة المسلمة في لبنان وفلسطين. فماذا قالت هذه السيدة:

في الفترة ما بين الاعتداء الإسرائيلي على لبنان وحرب الصهيونية على (الإرهاب)، صار العالم الإسلامي محورا للاهتمام في كل بيت في أمريكا. وقد شاهدت بأمر عيني الجازر والموت، والدمار الذي حل بلبنان. وشاهدت أيضاً أشياء أخرى: شاهدت عزيمتك وإصرارك الذي لم أملك معه إلا وأن أحنى رأسي إكباراً وإجلالاً لقاماتكن السامقة. تلك القامات التي حمل كل منها طفلاً. أو يتحلق حولها أطفال. لقد رأيت على الرغم من احتشامكن. جمالاً يشيع مخترقاً لباسكن الساتر. إنه جمال أكيد وليس فقط مظهراً خارجياً.

إنني أيضاً أحس بشعور غريب في داخلي. أحس بالغيرة والحزن والأسى من تلکم الممارسات البشعة، ومن جرائم الحرب التي عاشها الشعب اللبناني الذي أصبح هدفاً لعدو مشترك؛ لا أملك إزاء صمودكن في مواجهته إلا أن أبدي إعجابي بما تتحلين به من قوة وجمال. ومن حشمة. وأهم من ذلك كله ما تتمتعن به من سعادة ظاهرة. من المستغرب أن تظهر لي تلك السعادة وأنتن ترزحن تحت وطأة القصف المستمر. يبدو أنكن أكثر سعادة منا نحن الغربيات. وسبب تلك السعادة أنكن لا تزلن تعشن حياة النساء الطبيعيات. الحياة الطبيعية التي عاشتها المرأة منذ بدء الخليقة؛ الحياة التي اعتادت عليها المرأة الغربية حتى عام ١٩٦٠م، عندما تعرضت للقصف من العدو نفسه. ولكن الفرق بين القصفين أننا لم نقصف بالذخائر، وإنما قصفنا بالخداع والفساد الأخلاقي.

إغواء من خلال الإغراء

بدلاً من أن نقصف بمقاتلات (جيت)، أو الدبابات الأمريكية الصنع، قصفنا بمغريات هوليوود في الغرب. ويريدون قصفكن أنتن أيضاً بالأسلوب نفسه الذي قصفنا به. بعد أن أجهزوا على البنيات

عظيمة. كما ذكر ذلك الإنجيل عن النساء (إنجيل متي ١٣: ٤٥). نعم كل النساء لآلئ ذات قيمة عظيمة. ولكن بعضنا تمت خدعته ليشكك في قيمة عفافه. قال عيسى: «لا تعطي ما هو مقدس للكلاب. ولا تلقي بالآلئ أمام الخنازير. حتى لا تدوس عليها بأقدامها. فتعود عليك لتمرزقك. (إنجيل متي ٧: ٦).

إن لآلئنا لا تقدر بثمن. ولكنهم يحاولون دائماً إقناعنا بأنها رخيصة. أرجو فقط أن تثقن بما أقول لكن: «ليس هنالك من يمكنه النظر في المرأة فيرى الطهر والنقاء. والبراءة واحترام النفس غيركن». إن الأزياء التي ينتجها مصمم الأزياء الغربي تأتي مفصلة بطريقة توحى لكن بأن أفضل ما تمتلكه المرأة هو الجنس. ولكن ما تلبسن من أزياء وأمامات مختلفة من الحجاب لهو أكثر جاذبية في الواقع من أي زي غربي، لأنها تغطي في ستر وتظهر الاحترام والثقة بالنفس. ينبغي أن يحافظ على طبيعة المرأة الجنسية من العيون التي لا تستحق، طالما أن الجنس هو هديتك للرجل الذي يحبك ويحترمك بغية أن يتزوج بك. وطالما أن أزواجك يعاملونك بشهامة، فإنهم يستحقون بذلك أفضل ما يمكن أن تمنحه السيدة لزوجها. إن أزواجنا في الغرب لا يبحثون عن أي عفاف أو نقاء فينا. إنهم لا يعرفون اللؤلؤة الثمينة، فيختارون بدلا عن ذلك حجر الراين (وهو حجر أقل في قيمته من الأحجار الكريمة).

وما هذا الاختيار إلا ليسهل عليه تركها أيضاً! إن أقيم ما تمتلكه هو جمالكن الداخلي، هو براءتكن، هو الشيء الذي يمكن أن تتميز به عن الأخريات. ولكني لاحظت بعض المسلمات يتجاوزن الحد، ويحاولن ما وسعهن من جهد محاكاة النساء الغربيات، حتى وإن لبسن الحجاب (بتدلى شيء من شعر الرأس). لماذا يقلدن نساءً تأسفن سلفاً أو سيندمن بعد حين على شرف مضاع؟ إنه لا يوجد ما يعوضهن عن تلك الخسارة. أنتن الماس الذي لا تشوبه شائبة. فلا تدعنهن يخدعنكن لتصبحن كأحجار (الراين) بدلاً من الأحجار الكريمة. فإن كل ما ترين من صور في مجلات الأزياء وفي التلفاز بالغرب ما هو إلا خدعة. إنها حبايل الشيطان. وجواهر الحمقى.

قلب المرأة

سوف أطلعكن على بعض الأسرار. في حالة موافقتكن على معرفة تلك الأسرار. إن ممارسة الجنس قبل الزواج ليست بالشيء الحميد. فنحن نعطي أجسادنا للرجال الذين نقيم معهم علاقات جنسية. ظناً منا أن ذلك هو الطريق الذي يبادلوننا به حباً بحب ويطلبون به الزواج منا. كما نرى في المسلسلات التلفزيونية. من غير ضمان لحدوث الزواج فعلاً. ودون ضمان لتأكيد بقاء الرجال معنا. فأى متعة تلك! إنها مفارقة. إنها مجرد نشوة عابرة زائلة سرعان ما يذرف عقبها الدمع. وبحديثي إليكن حديث المرأة للمرأة. أرى أنكن مدركات لذلك سلفاً. لأن المرأة وحدها هي التي

تفهم ما يدور في رؤوس بنات جنسها.

إن مشاعر النساء في كل مكان واحدة. لا يهتم إلى أي عنصر تنتمي، أو إلى أي دين أو وطن. فقلب المرأة في أي مكان هو ذات القلب. إننا نحب. ونعرف الحب أكثر من أي شيء آخر. إننا نطعم أسرنا، ونمنح الراحة والقوة للرجال الذين نحبهم. إلا أنه قد تم خداعنا نحن الأمريكيات على أن نرى أنفسنا أكثر سعادة بخروجنا للعمل، فتفقدنا بيوتنا ونفقدناها، وخذعنا بأن نمنح الحب بحرية لكل من هب ودب. ليست الحرية هكذا ولا الحب. يمكن للمرأة أن تسلم جسدها وقلبها للحب، ولكن فقط في ملاذ الزوجية الآمن. فعليكن ألا تقبلن بأقل من ذلك: فلا شيء يضاها ذلك الانحلال الخلقى. إنكن سوف لن تعجن بأنفسكن بذلك الانحلال. وسوف لن تعجن بأنفسكن بعد ذلك السلوك. عندما جندهم - أي الرجال - قد هجروكن.

الإيثار أو ما يعرف بنكران الذات:

الخطيئة لا تكسب شيئاً. إن مرتكب الخطيئة هو من يدفع الثمن. فهي خديعة تنطلي على صاحبها. وعلى الرغم من استردادنا لشرفنا (بالتوبة أو بغيرها). فلا أجد له بديلاً محو العار الأول. لقد غسلوا أدمغتنا نحن في الغرب بقولهم إن المسلمات مضطهدات. ولكن الحقيقة هي، أن المضطهدات هن نحن الغربيات. فقد استعبدتنا الأزياء لدرجة أنها حطت من شخصياتنا، وأصبح الاحتفاء بالمظهر ومقاسات الأزياء وأوزان الأجسام وغيرها تسبب لنا كابوساً. نبحث عن الحب عند الرجال، وهم لا يرغبون في منحنا إياه. إننا نعلم علم اليقين أنه قد تم خداعنا.

نحن الغربيات معجبات بسلوككن ولكن لا نبوح بذلك. ونحسدكن على ما أنتن عليه في نفس الوقت، غير أن بعضنا لا يعترف بذلك. فضلاً. أرجو ألا تهزأن منا، أو يرسخ لديكن أننا معجبات بتلك الأشياء التي تحدث لنا. إنها ليست غلطتنا أصلاً. فمعظمنا فاقد لوالده الذي كان من الممكن أن يوفر له الحماية عند الطفولة؛ لأن أسرنا قد دمرت تماماً. تعرفن من الذي يقف وراء تلك المؤامرة؟ إذن لا تسمحن بخداعكن! يا أخواتي. لا تمكّن أحداً من الوصول إليكن أبداً لاستغلالكن. حافظن على عفافكن وبراءتكن. نحن المسيحيات في حاجة لمعرفة ما يجب أن تكون عليه الحياة الحقيقية للنساء. نريد منكن أن تصبحن لنا قدوة ومثالاً؛ لأننا قد فقدنا كل شيء. حافظن على عفافكن. انتبهن! فإنه لا يمكن إعادة معجون الأسنان إلى الصباغ الذي خرج منه. فلتحافظن كل واحدة منكن على معجون أسنانها بعناية. أرجو أن تتلقين تلك النصيحة بالروح التي قصدتها: روح الصداقة، والاحترام والإعجاب.

مع خالص حبي.

أختكم المسيحية: جونا فرانسيس

في الحاجة إلى «تخليق» الإعلام

بقلم: التجاني بولعوالي

باحث ومفكر إسلامي مقيم في بلجيكا

الأخرى. ما لم تتعارض مع ثوابت العقيدة ومسلماتها. لقد طرح الفيلسوف عبد الرحمن طه في كتابه سؤال الأخلاق ثلاثة أسئلة عميقة حول علاقة الدين بالأخلاق: (٢) هل الدين تابع للأخلاق. أم الأخلاق تابعة للدين. أم أن كلا منهما مستقل عن الآخر؟ وبعد دراسة ذلك في ضوء الفلسفة والفكر الغربي والإسلامي. خلص إلى موقف جديد مؤداه: «أن الدين والأخلاق شيء واحد. فلا دين بغير أخلاق ولا أخلاق بغير دين». (٣)

ولا ريب في أنه على أساس هذه المقاربة الدينية للأخلاق أو المقاربة الأخلاقية للدين يمكن أن نستوعب مختلف الأنشطة الإنسانية. بما في ذلك السياسة والفكر والفن والإعلام وغيرها. حيث الأخلاق على العموم. «هي معرفة مقاصد الحياة ومن ثم تحديد ما يجب القيام به». (٤) وفي ضوء هذا التحديد يمكن تفسير جانب من علاقة الأخلاق بالإعلام. وكذا موقع الأخلاق من التحولات الجذرية التي مسست وتمس بنية المجتمعات المعاصرة. بما في ذلك مؤسسة الأسرة. حيث لا يمكن غض الطرف عن دور الإعلام في ذلك. وهو في الحقيقة دور يترجح بين الإيجابية والسلبية. بين النفع والضرر. بين الخير والشر... غير أن الإنسان عادة ما ينجح إلى إمطة اللثام عن الوجه السلبى لوسائل الإعلام. وتقدير حجم الضرر الذي تلحقه بالمجتمع والإنسان. وهذا في الواقع تفسير أخلاقي محض. لكنه يكتفي بالحكم على قيمة الإعلام في ميزان الخير والشر. مغيبا مقاصد الإعلام وعلاج انحرافاته ومثالبه. وهو «ما يجب القيام به».

يحتل سؤال الأخلاق حيزا كبيرا في وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها ومشاربها. وعادة ما يتداعى خاطر المرء وهو يتابع الإعلام إلى ما هو أخلاقي. لكن. ما المراد بالأخلاق؟ وهل الحديث عن مفهوم الأخلاق في نطاق العملية الإعلامية: أداء واستقبالا. هو نفسه في المجالات الأخرى كالدين والثقافة والسياسة أم أنه غير ذلك؟ إن أول ما يتبادر إلى الذهن عندما يلتقط لفظة الأخلاق. هو تلك السلوكيات التي تصدر من الإنسان. وغالبا ما تتراوح بين ثنائية الخير والشر أو الحق والباطل. فيُنظر إلى الإنسان على أنه صالح إذا كانت سلوكياته جيدة ونافعة. وعلى أنه طالح إذا كانت أفعاله رديئة وفاسدة. ولعل هذه الرؤية مستمدة بالدرجة الأولى من المرجعية الدينية. حيث يؤدي الدين دورا جوهريا في صياغة فهم الإنسان للوجود والمصير. وتوجيه أعماله إلى ما يخدم المجتمع أو الصالح العام. وكثيرا ما تساهم ثقافة الإنسان في تطعيم ما هو ديني بأفكار وفلسفات محلية. وتلويحه بأعراف وعادات متوارثة. في هذا الصدد تجدر الإشارة إلى تداخل أكثر من عنصر في صياغة أخلاق الناس. كالديني والفلسفي والسياسي والثقافي وما إلى ذلك. فالإنسان يقترض من الثقافات والمجتمعات الأخرى الكثير من التقاليد والأفكار. أو ما يطلق عليه المفكر أندري دروكيس الذخائر الدينية (1). Religieuze repertoires.

غير أنه في إطار الإسلام يظل المحدد الديني هو أساس الأخلاق ومعيارها. وهذا لا يعني إلغاء الروافد الاجتماعية والثقافية



لكن بمجرد ما بدأت تطفو على السطح مساوئها الفادحة، راح يسخط على هذا الوضع، ويعلق مشاكله على مشجب الإعلام! ثم إن الخرج من عنق الزجاجة التي يجد فيها الإنسان نفسه اليوم، لن يتأتى إلا بالعودة إلى الأخلاق، باعتبارها تبين له ما يجب عليه فعله، وما ينبغي الإقلاع عنه. وهذا لا يسري على الإعلام وحده، وإنما على مختلف مجالات الحياة وتجاربها. وقد تنبه إلى هذا الأمر الكثير من الغربيين، الذين استنزفوا طاقاتهم في شتى المعتقدات والفلسفات، ومختلف الماديات والمتع، فاكتشفوا بعد رحلة طويلة من البحث أنه لا منقذ من الحيرة والضياح إلا ما هو روحي وأخلاقي، الذي لا وجود له إلا في الدين، وهذا ما يفسر الإقبال الملحوظ لدى العديد من الغربيين على دين الإسلام، إما إيمانا به أو استلهاما لأخلاقه وروحانياته.

خلاصة القول، إن مسألة العودة إلى الأخلاق من شأنها أن تسهم في حل الكثير من الإشكاليات المعاصرة، لا سيما المتعلقة بالمجال الإعلامي، لأنه عن طريق الحدد الأخلاقي يعرف الإنسان ما له وما عليه، ويفقه ما يُسمح له فعله وما يحظر عليه، وتستطيع الأسرة أن تؤدي دورا رياديا في هذا الإطار، ليس عن طريق المتابعة الصارمة للأبناء، ووضع تصرفاتهم تحت مجهر المراقبة الدائمة، وإنما عن طريق التوعية المستمرة والتوجيه الراشد والنصح السامع، وهكذا تسترجع الأسرة قيمتها الطبيعية التي فطرها الله تعالى عليها، وتؤدي أدوارها الحقيقية التي أنيطت بها.

إن الإعلام بات يخلف اليوم ضحايا كثيرين، بيد أن ذلك لا يعود إلى الإعلام في حد ذاته، بل إلى الكيفية التي يُوظف بها، سواء من قبل الأفراد أو المؤسسات. يقينا أن الإعلام الجديد أصبح يساهم اليوم، بشكل خطير، في تحديد المواقف وتشكيل العقلية وصناعة القرارات، لكن لا ينبغي أن نُجهل أن الإنسان هو الذي صنع الإعلام، وليس العكس. لذلك فإنه يملك إمكانية التحكم في هذه الآلية وتوجيهها الوجهة التي تخدم مصالحه ومقاصده في الحياة، إلا أن ذلك يقتضي جملة من الحوافر والإمكانات الذاتية والأخلاقية، كالإرادة الحقيقية وحسن الاختيار والثقة في النفس وإمكانية اتخاذ القرار ونحو ذلك، وبغياب هذه القابلية النفسية للتغيير أو التحسن، سوف ينقلب السحر لا محالة على صاحبه، كما ينقلب اليوم الإعلام على صانعه!

إن ثقافة العري التي صارت من خلالها «تَعولم» الفاحشة ويعمم الفساد، ما هي إلا انعكاس لرغبة الإنسان الدفين في اللذة والتمتع، ومن ثم تفهقر الوازع الأخلاقي الذي ينظم سلوكيات الفرد والجماعة. كما أن إدمان الأطفال لبعض وسائل الإعلام كالتلفاز والإنترنت، مرده إلى غياب رقابة الأسرة وتوجيهها للأبناء، فأصبح يشكل لديهم الإعلام المرجعية الأخلاقية بل والتربوية كذلك، إلى درجة أن الطفل أضحي يتلقى تربيته من الإنترنت، الذي صار بمثابة الأم الثانية أو الأم البديل! على هذا الأساس، يبدو أن الإنسان المعاصر اختار عن طواعية هذا النمط من الحياة السهلة والمريحة.

الهوامش:

الفصل الأول، ص ٢٩ - ٥٧.

٣ المرجع نفسه، ص ٥٢.

4Mohamed Ababou, Changement et socialisation de l'identité islamique, Fes 2001, p. 6 in: Mohamed Ajouaou, Imam achter tralies, Uitgeverij PAMAC, 2010, p. 126 .

1Henk Vroom, Een waaier van visies godsdienstfilosofie en pluralisme, Agora - Kampen 2003, p. 221 .

٢ طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان الدار البيضاء- المغرب، ينظر

متحف «دار السلام» مركز إشعاع ثقافي يؤرخ لتاريخ تنزانيا



إعداد: أسامة باعلم

لصراعات تلك القوى المختلفة. تحول المتحف الذي أنشأه المستعمر البريطاني. هارولد ماك ميشال. عام ١٩٣٤. إلى مركز لتقديم معلومات وافية عن تاريخ تنزانيا وفنونها. ويزخر المتحف بكثير من المعروضات المثيرة للاهتمام. والتي تعود لملايين السنين. من ضمنها عظام وبقايا كائنات حية عاشت في فترات زمنية مختلفة. كما يعرض عدداً من الصور الفوتوغرافية التي التقطها مبشرون. إضافة لخرائط تاريخية استخدمت خلال حملات التنصير (نشر المسيحية) في البلاد. المتحف يضم أيضاً بين جنباته موجودات تعود للحقبتين الألمانية والبريطانية. إضافة إلى معروضات ترجع لفترة

دار السلام هي عاصمة تنزانيا سابقاً. وكان اسمها القديم (مزيمبا). وقد وصل الدين الإسلامي إليها مع سائر منطقة شرق إفريقيا في عهد السلاطين العثمانيين. وما زال أغلبية السكان فيها يعتنقون الدين الإسلامي. حيث بلغت نسبة المسلمين بمدينة دار السلام في الثمانينيات ٩٠٪. ومن أبرز المراكز الإسلامية فيها. مركز الحرمين الإسلامي في دار السلام الذي تم إنشاؤه بدعم من المملكة العربية السعودية والمجلس الإسلامي الأعلى في تنزانيا.

يعرض المتحف الوطني التنزاني في دار السلام آثاراً مهمة لتاريخ البشرية والعهد الاستعماري التي سيطرت على البلاد. حيث تعد تنزانيا واحدة من أقدم المناطق المأهولة. وكانت تحت سيطرة القوى الاستعمارية لقرون عدة. وكانت مسرحاً



ثورة المسلمين ضد البرتغال أسطوياً بحرياً، لكن الحملة فشلت في إنهاء الوجود البرتغالي بالمنطقة. ونجحت البحرية التابعة لسلطنة عمان، في أواخر القرن الـ ١٧ الميلادي، من نجدة مسلمي المنطقة. وتم تحريرهم من الوجود البرتغالي باستثناء موزمبيق. وفي نهاية القرن الـ ١٩، احتدم الصراع بين القوى الاستعمارية بريطانيا وألمانيا على بلدان شرق إفريقيا، حيث تقاسمت كل من ألمانيا وبريطانيا المنطقة في عام ١٨٩٠، فكانت تنجانيقا من حصة ألمانيا، فيما أعطيت زنجبار والجزر الوردية لبريطانيا.

ذبح مئات الآلاف من الناس

خاضت شعوب المنطقة نضالاً مريباً ضد الاستعمار الألماني، الذي لم يتوان عن إعدام وقتل المئات من أبناء المنطقة، خاصة بعد فشل تمرد للمسلمين بقيادة أبو شيري سالم الحارثي. ويقدر المؤرخون عدد من قتلوا على يد القوات الألمانية في مناطق باجامويو، وكيلوه، وماجي ماجي في تنزانيا، بنحو ٣٠٠ ألف شخص.

ومطلع القرن الـ ٢٠ سيطرت بريطانيا على كامل المناطق التنزانية في تنجانيقا وزنجبار، التي تم إخلاؤها لصالح الأمم المتحدة عام ١٩٤٧.

نضال عسير للحصول على الاستقلال

بدأت أول مقاومة جديّة للدول الاستعمارية عام ١٩٢٠، وجرى تأسيس جمعية تنجانيقا الإفريقية عام ١٩٢٩، وعام ١٩٣٤ تم تأسيس جمعية تنجانيقا الإفريقية للمجتمع المسلم. بدأت الاضطرابات تعم مناطق واسعة من البلاد لتتحول إلى مقاومة مسلحة ضد بريطانيا.

اعتبرت الأمم المتحدة مؤسس الاتحاد الوطني الإفريقي في تنجانيقا جوليوس نيريري، الممثل القانوني للشعب التنزاني في ٩ ديسمبر ١٩٦٢، حيث أعلن الأخير قيام جمهورية تنجانيقا منهياً بذلك ٤٣ عامًا من الاستعمار البريطاني.

الاستقلال.

وعن تقسيمات المتحف من الداخل، قال المدير آنشليس بوفور إنه يتكون من ٧ أقسام، مشيراً إلى أنه «يعد أول وأكبر متحف وطني في تنزانيا». وأضاف بوفور «المتحف يحتوي على قسم لحفظ الاكتشافات الأثرية التي تعكس التنوع الأحيائي في المنطقة، كذلك قسم خاص لحفظ آثار تنجانيقا (البر الرئيسي لتنزانيا) وزنجبار». وذكر المتحدث أن «الجهود التي بذلها الرئيس التنزاني السابق جاكايا كيكويتي عام ٢٠١١ نتج عنها تحويل المتحف إلى مركز ثقافي يعتبر الأهم من نوعه في البلاد».

وحول تاريخ البلاد، أضاف مدير المتحف أن «العرب المسلمين فتحوا تنزانيا في القرن السابع الميلادي، لتبدأ المنطقة باعتراف الإسلام، كما شهدت تلك الفترة أيضاً إنشاء العديد من المدن». ودولة المدينة هي دولة مستقلة أو ذاتية الحكم تقتصر سيادتها على مدينة، كان هذا الشكل من الدول شائعاً خلال العصور القديمة.

وأشار بوفور إلى أن «عددًا لا بأس به من الشيرازيين الإيرانيين الذين ينتمون إلى المذهب الجعفري (الشيعي)، هاجروا مع العرب المسلمين إلى تنزانيا، حتى إنهم أنشؤوا سلطنتهم الخاصة هناك، والتي امتدت في أواخر القرن الـ ١٢ على منطقة شاسعة ضمت الجزر الوردية وزنجبار وجنوباً وصلت حتى موزمبيق».

ونوه مدير المتحف إلى أن دول المدن الموجودة في المنطقة تمكنت من تحقيق ثراء اقتصادي بفضل إقامة علاقات تجارية مع السكان الأصليين في المناطق الداخلية، وتجارة العاج والنحاس وإيصالها إلى شبه الجزيرة العربية ومنها إلى مختلف مناطق العالم.

الاحتلال البرتغالي دام ٢٠٠ عام

بدأت مرحلة الاستعمار البرتغالي في المنطقة مع وصول الرحالة الأوائل إلى ساحل شرق إفريقيا منذ بداية القرن الـ ١٦ الميلادي.

وتمكن البرتغاليون وبتشجيع من المستكشف البرتغالي، فاسكو دا جاما، من احتلال زنجبار والمدن الساحلية، وكذلك تدمير جزء كبير من مساجد المنطقة، وقتل المسلمين الذين حاولوا التصدي للهيمنة البرتغالية، لتبدأ حقبة استعمار استهدفت المسلمين في ساحل شرق إفريقيا، استمرت ما يقرب من قرنين.

الدولة العثمانية أرسلت أسطوياً بحرياً لدعم

مسلمي المنطقة

ووفقاً للمصادر التاريخية، فقد أرسلت الدولة العثمانية بعد



العالم اليوم يبقى بحاجة أكثر إلى رابطة العالم الإسلامي

كتب: محمد عبد الله فتي

إعلامي موريتاني مقيم في داكار

تلك الدول التي استطاعت مبادراتها وهيئاتها أن تصمد في وجه المتغيرات والعواصف.. لكنها منظمة رابطة العالم الإسلامي ظلت بعطائها المعرفي منظمة خيرية عالمية الأداء تتعاون لتقديم يد العون للمحتاجين والمنكوبين في العالم.. ونشر الثقافة الإسلامية وترشيد الخطاب الديني ودرء الشبهات والرد المناسب على كل الهفوات بحق المقدسات الإسلامية. والتفاعل الحي والسريع مع مستجدات الساحة الإسلامية عبر النصح والإرشاد وتبيان الموقف السليم الجامع لكلمة العالم الإسلامي. وبذلك استطاعت الرابطة أن تكسب ثقة منظمات الأمم المتحدة، ومنظمة التعاون الإسلامي وغيرها.

تضم رابطة العالم الإسلامي في منظومتها: الجمع الفقهي الإسلامي. الهيئة العالمية للتعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم ونصرته. الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم. الهيئة العالمية للعلماء المسلمين. هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.. وغيرها.

واليوم وهي تشهد عهداً جديداً من العطاء وتوسيع الأدوار وحمل الأمانة في الدفاع عن سماحة الإسلام وشمولية خطابه واستيعابه لكل أنماط العيش والحياة. يستلم الراية قبل شهور عدة، شخصية إسلامية هو الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى. فمنذ استلامه زمام أمر الرابطة طاف العالم شرقاً وغرباً موجهاً وناصحاً ومقدماً للآخر الصورة المشرقة المشرفة للإسلام. ومنيرا بكلماته ومحاضراته دروب الهداية لكل من تافت نفوسهم لمعرفة حقيقة الإسلام. مساهماً بانفتاحه وسعة صدره وثقافته في توضيح الإشكالات وتصحيح المفاهيم الخاطئة عبر منابر الدول الأوروبية والجامعات العالمية.

هذه الإشرافة والديناميكية الجديدة التي تعرفها رابطة العالم الإسلامي. أملت الحاجة وأملهاها الواقع.. فبات من المهم نفض الغبار عن مكاتب في القارة السمراء، كان للرابطة فيها رجال ساهموا في تأسيسها وتمثيلها. وتوصيل خطابها وعطائها إلى أذغال وتخوم إفريقيا. فبلغت الرسالة.

بدأت المواقع الإخبارية في منطقة غرب إفريقيا في الفترة الأخيرة تهتم بأخبار رابطة العالم الإسلامي وتنشرها وتواكب حركة أمينها العام الجديد الشيخ محمد العيسى. هذه المتابعة أثارت انتباه العديد من الإعلاميين المهتمين بمنظمات العمل الإسلامي. فكتبوا إليّ يسألون عن المنظمة. فكتبت هذه السطور عساها تنقل للقارئ في المنطقة صورة عن طود شامخ في سماء العمل الإسلامي.

إنها رابطة العالم الإسلامي: دوحة من ينباع خير المملكة العربية السعودية ورافة الظلال. هي عطاء متنوع من خلال أعمال إغاثية إلى تعليمية، واجتماعية، وصحية، وتنموية. تمتد عبر العالم من خلال مكاتبها ومثيلها في 95 دولة.

وليلاد الرابطة قصة كبيرة، ففي عام 1962 تبادت دول العالم الإسلامي إلى اجتماع في المملكة العربية السعودية.. وكان من أهم توصياته ضرورة الإيمان بقدسية الحرمين الشريفين وتعظيم مكة المكرمة والأشهر الحرم وشعائر الحج وأن أمن الحرمين أمر منوط بمن يلي أمرها من المسلمين.. وكانت من مخرجاته تشكيل هيئة إسلامية شعبية عالمية أطلق عليها: رابطة العالم الإسلامي.

ومنذ ذلك التاريخ بدأت جليات العمل الإسلامي الناضج بأبعاده السياسية والإنسانية والمعرفية ترتسم من خلال هذه الهيئة التي شقت طريقها نحو الريادة وتولى قيادة العمل فيها رجال يصدق فيهم قوله تعالى: «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً». رجال كتبوا أسماءهم في سجل التاريخ. وشهدت لهم ساحات الدعوة وميادين العمل الإنساني بأنهم كانوا دعاة إلى الله بالتي هي أحسن.. فصاروا رواد العصر في العمل الخيري مجسدين عالمية الإسلام ورحمته... منفذين أمر الله تعالى: «واعتصموا بحبل الله.. متمثلين قوله تعالى: «ومن أحسن قولاً من دعا إلى الله وقال إني من المسلمين».

وتتسارع أحداث العالم الإسلامي وتنوع. وتنتعش منظمات ويأفل نجم منظمات أخرى. وقليل من الرجال ومن

المسجد العظيم
لسومطرة ، إندونيسيا

